الفصل السابع
سرد تاريخى

نشأته – ومشاركته
فى الحياة السياسية فى مصر

أما وقد وقفت طريقنا خصيصة كره محمود شاكر الكلام عن نفسه ونحن فى سبيل سبر أغوار سيرة حياته، فإننا سنذللها بخصيصة أخرى لديه، وهى أنه يودع فى كتبه كثيرا من حياته ومعاناته ومحمود شاكر للعلم هو السابع فى ترتيبه بين إخوته.. «أحمد وعلى ، وصفية ومحمد ، وفاطمة وحسن ، ومحمود ، وعزيزة» «ولكن حسن توفى صغيراً وقد سجل الشيخ محمد شاكر ميلاد ابنه محمود على جزء من الفتوحات المكية هكذا . المولود السابع :

بحمد الله ولد لكاتبه شيخ علماء الاسكندرية مولود فى مدينة الأسكندرية بمنزل حافظ باشا فى الساعة السادسة العربية والثانية عشر الأفرنجية من ليلة الاثنين عاشر المحرم وهى ليلة عاشوراء غرة

١٣٢٧ وأول فبراير ١٩٠٩ وقد سميته ولقبته بهذين الاسمين الكريمين محمود سعد الدين شاكر ، وجملها تاريخ مولده بعد الالف أما الألف فتكون فى الجملة الآتية ولد عاشر المحرم ليلا نسأل الله أن ينبته نباتا حسنا .. محمد شاكر ..

وفى البداية نجد أننا لا نحيط من سنة ١٩٠٩ بما حدث لمحمود شاكر فى طفولته إلى دخوله أول مراحل التعليم إلا ما قاله لى أخوه محمد الذى يكبره من أنه كان لأخيه محمود مربية سودانية عصبية المزاج وكانت إذا غضبت من أحد أفراد الاسرة.. فإنها تصعد به حيث حجرتها فلا تدع أحدا يحمله أو يداعبه .. بل إنها كانت إذا انشغل الطاهى عن إرسال الغذاء لها .. فإنها تستنكف ان تطلبه .. وبدلا من ذلك تصطاد العصافير وتشويها وتطعمه إياها .. بل إنها جعلته يستسيغ أكل الحريف من توابل الطعام كالشطة وغيرها ، والتى لازمته طوال حياته ، فقد كان قبل أن يلم به المرض ليمضغ طعامه بها ولا يستلذه بغيرها .

وهذه الكلمات العفوية التى جاءت على لسان أخيه محمد .. حلت لى لغزا شغلنى كثيرا أيام كان ابنه فهر طفلا صغيراً فقد كان كلما جاء أحدهم بلعبه كهدية لفهر.. فإن محمود شاكر الذى لم يعش طفولته كان يحجز هذه الدميه عنه ، خوفاً من أن يدمرها، بينما الحقيقة أن الأب كان يديرها خفية ويلعب بها مرات ومرات.. وأخيرا يسلمها لفهر بعد أن يعلمه طريقة تحريكها ، وربما يؤكد هذه المعلومة الطريفة ما جاء فى

وصفه للويس عوض كرسول للمستشرقين الغربيين بقوله : «أرأيت إلى الدمية التى تدير مفتاحها لتملأها ، فإذا هى تحرك يديها وتمشى برجليها وتترنح أحيانا وتعتدل وتختال أحيانا وتستقيم ، وتبتسم حينا وتوشك أن تبكى حينا آخر وتفتح عينيها تارة وتغمض جفنيها تارة أخرى، ومحركها فى خلال ذلك ، لا يبالى ولا عليه أن يتدخل فى أعمالها لأنها قلما تخطىء فى عمل ..»

وإذا كان ابن خاله الاستاذ عبد السلام هارون.. أورد هذا الوصف فى كلمة تقديمه لمحمود شاكر إلى المجمع.. ثم علق عليه : و «لست ادرى كيف غفل القوم عن تلقيب محمود شاكر بأمير الكتابة الساخرة، وإن كان مستقبل التاريخ يضمر له هذا اللقب فيما يضمره .» فإن حقيقة أمر وصفه لهذه الدمية ليؤكد القول «وذو الشيب يلعب» بقدر ما يؤكد ما ذهبنا إليه من أن محمود شاكر عاش طفولته مع طفولة ابنه وليس قبلها ، لأن الوصف هنا وصف دمية حديثة فلا أعتقد أنه فى سن ١٩٠٩ وسنين بعدها .. لم تكن مثل هذه الدمى «الزنبركية» قد ظهرت، وأن عدم مداعبته وهو صغير قد تركت فى نفسه اثارا ، بل إنى أتجاسر وأقول إن محمود شاكر مازال أخضر رطبا فى كثير من تصرفاته .. ولا شك فى أن هذه الخصيصة هى التى جعلته يكبر ولا يشيخ، وأثبت أن الفنان فيه يكاد يطاول منزلة العالم..على نحو وترك محمود شاكر لأعمال كثيرة له بغير تمام أو مقدمة .. كما ستعرف أسبابها بعد ذلك ..

ويصف محمود شاكر المولع بالكلمة حياته فى هذه السنوات بقوله :
فمنذ بدأت أعقل بعض هذه الدنيا وأرى سوادها وبياضها بعين باصرة . شغلتنى الكلمة وتعلق قلبى بها ، لأنى أدركت أول ماأدركت أن الكلمة وحدها التى تنقل إلى الأشياء التى أراها بعينى وتنقل إلى أيضا بعض علائقها التى تربط بينها والتى لاأطيق أن أراها بعينى .. وكان هذا إدراكا مبهما، لا تستطيع طفولتى يومئذ أن تستبينها كل الأستبانة .. ولكنى لا أزال أذكر لمحا كالوميض يلوح ويختفى من عهد طفولتى ، إذ كنت اسمع من كان فى بيتنا حين يتحدثون بطلاقة وذلاقة لا يطيق مثلها إنسان غض قريب عهد بصمت الطفولة الطويلة ، وبعجزها المتلهف إلى الإبانه ونزاعها الدائب إلى محاكاة الكبار ..

فى هذه السنوات حدثت بمصر أحداث شتى.. كان أهمها.. حرب طرابلس ثم انعقاد مؤتمر للمسلمين فى القاهرة.. ردا على المؤتمر القبطى فى اسيوط، وانشاء الشيخ على يوسف لجمعية الهلال الأحمر سنة ١٩١١ .. ثم سقوط أدرنه وحرب أدرنه ..

فى ١٩١٢ صدر كتاب «تاريخ الدولة العلية العثمانية».. لمحمد فريد خليفة مصطفى كامل .. متفقا معه فى أن مصلحة مصر فى ذلك الوقت تدعو إلى مؤازرتها تركيا.. وهذه النزعة الإسلامية كانت واضحة فى كتاب ذلك العصر وقادته ومفكريه .. وتستطيع تتبعها فى شعر أحمد شوقى ..

وفى ١٩١٣ كانت الجمعية التشريعية قد تكونت وقد اختير الشيخ

محمد شاكر عضوا فيها - ممثلا للتعليم الدينى عام ١٩١٣.. كما رشح سعد زغلول نفسه لدائرتين فى العاصمة، أما فى سنة ١٩١٤ فقد أعلنت الحماية على مصر لأن بريطانيا دخلت الحرب العالمية الأولى فعزلوا الخديو عباس حلمى الثانى وولوا البرنس حسين كامل ، استقال الشيخ محمد شاكر من منصبه كوكيل للأزهر حتى ذلك يتفرغ للعمل السياسى، وقد بدأت المعارك الأدبية فى مصر حيث هاجم منصور فهمى الإسلام ، كما أن تركيا حاولت دخول مصر بجيش عثمانى وفشلت هذه المحاولة سنة ١٩١٥، وانحدر الشاعر حافظ ابراهيم من مناصبه الكثيرة إلى رئيس دار الكتب لتردده بين حب الانجليز وممالأة الخليفة كما وصل مكماهون .

فى ذلك الحين وتلك الظروف التحق الطفل محمود شاكر بأول مراحل التعليم بمدرسة الوالده أم عباس سنة ١٩١٦ حين تقدمت إنجلترا بمشروع برونيت لمنح مصر استقلالا ذاتيا ولكن مصر رفضت هذا المشروع، بعدها أى فى ١٩١٧ أثير موضوع أعمال السلطة الإنجليزية ، أو ما يعرف بالسخرة وظهور أغنية يا عزيز عينى أنا نفسى أروح بلدى وقد اجتاز محمود شاكر أول إمتحان فى العربية وهو على شفا الرسوب لأنه كان يتلقاها مع علوم الاسلام فى آخر الحصص بينما نجح بتفوق فى الانجليزية حيث فتن بحروفها الغربية النطق التى يتلقاها على الريق فى أول حصة.. ولعل لهذه الحادثة أثراً فى أن تكون أول ثورته على نظام التعليم الدنلوبى .

فى عام ١٩١٨ تقدم الزعماء الثلاثة سعد زغلول وعبد العزيز فهمى وعلى شعراوى بمطلب الاستقلال للمعتمد البريطانى وهو ما سمى بعيد الجهاد الوطنى يوم ٣ نوفمبر، ولما رفض هذا الطلب قامت ثورة ١٩١٩ ، فى هذه الاثناء عرف محمود شاكر طريقه إلى ركوب المواصلات العامة لانتقاله إلى مدرسته القريبة التى تبعد عن منزله برحبة عابدين.. وفى هذه المدرسة اجاد الانجليزية حتى أنه راسل بها هيئة غربية كانت قد اعلنت فى الصحف أن لديها طريقة غذاء مخصوص لكل شخص تجعل من يتبعها يتجاوز المائة عام ..

وعندما وصلت لجنة ملنر إلى مصر.. كان الخلاف قد وقع بين سعد زغلول وعدلى يكن حول رئاسة وفد المفاوضات .. وانشغل الشيخ محمد شاكر بهذا الخلاف كما عرفنا آنفا.. ورسب محمود شاكر فى شهادة الإبتدائية وفى العربية بالذات ، فهل كان الشيخ محمد شاكر هو الذى كان يراجع معه العربية؟ ام أن جو البيت لم يكن ملائما فقد كتب محمود شاكر بعد ذلك عن هذا الوقت فقال : «وكان مما قدر الله أن أفتح عينى على ثورة ١٩١٩ وعلى دار تموج بالثوار فعقلت من الأمر ما عقلت ورأيت بعينى رجالا ، وسمعت بأذنى آراء ورضيت بقلبى أو سخطت وأعانتنى فطرتى بضرب من التمييز ، كان يرج نفسى رجا شديدا، وأنا بعد فى غضارة الصبا. ولم أكد حتى انطلقت أجوب مجتمعا يفور بالمتناقضات ، يتشقق بالصراع المر فى ميادين مختلفة من الدين إلى العلم إلى الأدب إلى الفن، إلى السياسة إلى السنن الموروثة ، فخضت زمانى فى اول نشأتى بنفس غضه مجرحة بالتجارب،

ومضت بى الأيام، واثخنتنى التجارب وهلك رجال ، ونشأ رجال ، فرأيت وسمعت، ورضيت وسخطت ، وعلمت من أسرار الصراع ما لم أكن أعلم ..

فاللحظة التاريخية التى كانت تمر بها مصر لم تنضج محمود شاكر وحده بل جعلت الشعب بكل طوائفه وأعماره ينغمسون فى السياسة ، فقد كان طلب الاستقلال والحرية هما من الأشياء الضرورية والملحة التى قامت من أجلها الثورة كما عبر أقرانه مثل نجيب محفوظ .

ولأن.. محمود شاكر كما لاحظنا سابقا من الناس الذين يرون فى مآسى حياتهم ميزانا ، فإننا نجد أن ثورة ١٩١٩ وإن جعلته يخوض محنة زمانه بنفس مجرحة إلا أنها كانت خيرا له فى تحصيله وعلمه إذ يقول : وكان من رحمة الله بى أن ادركتنى ثورة مصر سنة ١٩١٩. وأنا يومئذ فى السنة الثالثة ، فلما كانت السنة الرابعة سقطت فى إمتحان الشهادة الابتدائية ، ولا ملحق لها يومئذ وأعدت السنة على مضض لأنى كنت قويا كما كنا نقول فى الرياضة خاصة ، وفى سائر العلوم عامة، سوى العربية ، وصنع الله لى حين سقطت ، وأحسن بى إذ ملأ قلبى مللا من الدروس المعادة، واتسع الوقت، فصرت حرا اذهب حيث يذهب إخوتى الكبار إلى الازهر ، حيث أسمع خطب الثوار ، وأدخل رواق السنارية وغيره بلا حرج ، وفى هذا الوقت سمعت أول ماسمعت مطارحة الشعر، وأنا لا أدرى ما الشعر إلا قليلا . » .

وكتب الله لى الخير على يد أحد أبناء خالى، ممن كان يومئذ

مشتغلا بالأدب والشعر ، فأراد يوما أن يتخذنى وسيلة إلى شىء يريده من عمته التى هى أمى رحمها الله ، فأبيت إلا أن يعطينى هذا الديوان الذى سمعتهم يقرأون شعره ويتناشدونه ، وقد كان فأعطانى ديوان المتنبى بشرح الشيخ اليازجى وكان مشكولا مضبوطا جيد الورق، فلم أكد أظفر به حتى جعلته وردى فى ليلى وفى نهارى حتى حفظته يومئذ ، وكأن عينا دفينه فى أعماق نفسى قد تفجرت من تحت أطباق الجمود الجاثم وطفقت أنغام الشعر العربى تتردد فى جوانحى، وكأنى لم أجهلها قط ، وعادت الكلمة العربية إلى مكانها من نفسى ، وإن لم أجدها زحزحت شيئا من الكلمة الإنجليزية التى غرسها «دنلوب» اللعين فى غضارة أيامى ..» (١)

ومع عودة الكلمة العربية إلى مكانها فى نفس محمود شاكر التى كانت سبب نجاحه فى امتحان الابتدائية سنة ١٩٢١ اعتقل ونفى « سعد زغلول للمرة الثانية إلى جزيرة سيشل، ومنع الأنجليز التغنى به فظهرت اغنيتا سيد درويش «قولوا لعين الشمس ما تحماشى .. و «يا بلح زغلول.. زغلول ياأحسن حبيب القلب صابح ماشى» رطب» ودخل محمود شاكر مدرسة الخديوية الثانوية بالقاهرة القسم العلمى ولكنه كما قال كان شغوفا بالشعر متيما بالأدب كلفا بالتاريخ ..

---

(١) أباطيل وأسمار صفحة ٥٥٧ - ٥٥٨ .

وفى هذه الأثناء بدأ يراسل الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعى، بل إنه بعد اجتيازه السنة الأولى الثانوية، أخذ يتردد على الشيخ سيد ابن على المرصفى صاحب «رغبة الآمل» فحضر دروسه التى كان يلقيها بعد الظهر فى جامع السلطان برقوق، ثم قرأ عليه فى بيته «الكامل/ للمبرد» و«الحماسة/ لأبى تمام»، وشيئا من الأمالى/ للقالى» وبعض أشعار الهزليين».

ووسط هذه القراءات كان أثر الشيخ المرصفى عليه أثرا شديدا، فقد أثار اهتمامه وصرف قلبه كله إلى الشعر الجاهلى.

وهنا نتوقف للتأمل.. ليس لأن هذا الانصراف إلى الشعر الجاهلى، كان هو التحول الثانى فى حياته.. بعد التحول الأول الذى تم بحفظه لديوان المتنبى، بل لأنه سيختلف بعد ذلك حول أصالة الشعر الجاهلى مع أستاذه الدكتور طه حسين، مع العلم أن الدكتور طه قد تتلمذ فيه هو أيضا على الشيخ المرصفى قبل ذلك، فلم تم هذا الإختلاف وأستاذهما فيه واحد؟.

يجيب محمود شاكر على هذا السؤال بألمعية نادرة فى معرض رده على الدكتور عبدالعزيز دسوقى.. حين راجع قوله «إن الدكتور طه حسين لا بصر له بالشعر الجاهلى»، إذ حصر سبب ذلك فى طريقه تلقى كل منهما عن الشيخ المرصفى الذى كان حاله يختلف باختلاف المكان والسامعين، فهو عندما كان ينثر هذا الشعر للخاصة فى بيته، أى لمحمود شاكر وحده، فكان يقف على الكلمة، أو البيت وقفات يعيدها

ويرددها، يشير بيده وتبرق عيناه وتضيء معارف وجهه، ويهتز يمنة ويسرة، ويرفع قامته مادا ذراعيه ملوحا بهما يهم أن يطير، وترى شفتيه والكلمات تخرج من بينهما، تراه كأنه يجد للكلمات فى فمه من اللذة والنشوة والحلاوة، ما يفوق كل تصور.. كنت أنصت وأصغى وأنظر إليه لا يفارقه نظرى، ويأخذنى عند ذلك ما يأخذنى وأطيل النظر إليه كالمبهوت، لا تكاد عينى تطرف وصوته ينحدر فى أقصى أعماق نفسى كأنه وابل منهمر تستطير فى نواحيه شقائق برق يومض إيماضا سريعا خافتا ثاقبا - أيام لم يبق منها إلا هذه الذكرى الخافتة، فإذا كف عن الإنشاد والترنم أقبل يشرح ويبين ولكن شرحه وتبيينه لهذا هو الذى حركه كل هذا التحريك، كان دون ما أحسه وأفهمه، ويتغلغل فى أقاصى نفسى من هيئته وملامحه وهو يترنم بالشعر أو يردده كان دون ذلك بكثير، وكنت أحس أحيانا بالحيرة والحسرة تترقرق فى ألفاظه وهو يشرح ويبين كأنه كان هو أيضا يحس بأنه لم يبلغ مبلغا يرضاه فى الإبانة عن أسرار هذه الكلمات والأبيات».

ويردف محمود شاكر: «أما حالة الشيخ المرصفى وهو يلقى دروسه العامة، والتى كان يحضر أمثالها من قبلنا الدكتور طه حسين، فكان مختلفا كل الاختلاف، كان ملتزما بالجد والوقار يتخللها ذرو قليل من مزاح لاذع جارح أحيانا، ولكنه كان لا يقصر فى الإبانة والشرح، ولا فى التوقف عند الأبيات أو الكلمات الجياد الحسان المحكمة».

أى أن الذى أخذه الدكتور طه حسين من شرح الشيخ وصله عن

طريق الأذن فقط أما الذى وصل محمود شاكر فهو وليد السماع والمشاهدة والعيان، لا وليد الألفاظ والكلمات.

★ ★ ★

وفى ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ أصدر الإنجليز تصريحا يعلن استقلال مصر.. ولكن مصر رفضته، لأنه كان مكبلا بالشروط الأربعة المشهورة.. قطع الصلة بين مصر والسودان/ حماية الأقليات. حرية المرور فى قناة السويس.. ثم الامتيازات الأجنبية، طرحت الدعوة للجامعة العربية بما تحمله من ظلال فرنسية وإنجليزية وخلط بينهما وبين الجامعة الإسلامية.

أما فى عام ١٩٢٣ فقد أعلنت مصر الدستور، وكان للشيخ محمد شاكر دور بارز فيه، كما حضر إلى مصر الشيخ مصطفى صبرى فرارا من الكماليين قبيل استيلائهم على الأستانة.. وكان لقدوم هذا الشيخ إلى مصر دور وسبب فى تغيير فكرة المصريين عن كمال أتاتورك... وتغيير رأى الشيخ محمد شاكر بالتالى... مما جعله يكتب فى المقطم ما شعر به من خيبة الأمل فيما ظنه هو والمصريون فى كمال أتاتورك وكتابته مقالة «ما شأن الخلافة والحكم» ثم ظهر كتاب الشيخ على عبدالرازق «الإسلام وأصول الحكم».

فى عام ٢٤ تشكلت أول وزارة شعبية وفدية برئاسة سعد زغلول بعد عودته من المنفى وتصادف أن قتل السردار «لى ستاك» فى ٢٤ نوفمبر .... تلاها سنة ١٩٢٥ أنتخابات أحمد زيور أو بداية تزوير الأنتخابات

فى مصر..، وفى هذا العام كان محمود شاكر قد نجح فى أمتحان البكالوريا من القسم العلمى.

فى سنة ١٩٢٦ اضطر الأحرار للتحالف مع الوفد للوقوف ضد أوتقراطية الملك فؤاد ـ فشكلا الوزارة الإئتلافية الأولى، وجاءت الدعوة لاجتماع البرلمان بفندق الكونتنينتال، ودخل محمود شاكر كلية التجارة جامعة فؤاد الأول «القاهرة الآن»، ثم تحول إلى كلية الآداب، بواسطة الدكتور طه حسين الذي أقنع الدكتور لطفى السيد بجدارته لهذا... وحفظه لكتاب الأغانى ولسان العرب... وقد توفيت والدة محمود شاكر فى هذه السنة بمنزلهم برحبة عابدين... حيث نشر أول قصيدة فى رثائها بمجلة الزهراء تحت عنوان «يوم تهطل الشجون» ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م.. ونذكر أن هذه السنة هى بداية بحثه عن منهجه التنوقى.

وفى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧ توفى سعد زغلول.. وبدأ الصراع فى حزب الوفد وكتب الطالب محمود شاكر سماعا مقالين عن محاضرتين كان قد ألقاهما أستاذه «كارلو الفونسو نلينو» فى الجامعة المصرية أولاهما عن رواد اليمن من الأوربيين وثانتيهما عن المشتغلين بدرس آثار اليمن... تلاهما بمقال عن «الناسخون الماسخون» بمجلة الزهراء أيضا.

فى عام ١٩٢٨... وكان فى السنة الثانية بالجامعة.. وبينما هو منغمر فى الكتابة عن إكمال ثلاثة خروم من كتاب التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه للبكرى «ثم» من الخط البغدادى منشدا قصيدته «النجم

الواتر والصبح الثائر»... يحتدم الخلاف ـ الذى عرف به بعد ذلك ـ بينه وبين أستاذه الدكتور طه حسين حول أصالة الشعر الجاهلى ـ يتلوه مقاطعته للجامعة، بل مغادرته لمصر كلها إلى جزيرة العرب ـ بعد نشره قصيدته «كلمة مودع» فى مجلة الزهراء، وقد وصف محمود شاكر فى أحد كتبه تدرج لقائه بزملائه فى الجامعة بعد أربعين سنة وصفا بليغا بمناسبة مواجهة الدكتور مندور له فى بعض ما كتبه عن لويس عوض.

«أربعون سنة» لقاء مفاجىء على غير ميعاد، غرباء جمعتهم الغربة على طريق. نظر بعضهم فى وجوه بعض من بعيد وقريب، ومر جسد قريبا من جسد، وتحية يلقيها أحدهم على بعضهم بلا بشاشة، ثم يمضى وكأنه لا يبالى، ثم يلتفت من بعيد ليجس هذا الجثمان المنتصب بنظرة فاحصة، ثم يعودون مرة أخرى فتلتقى الوجوه وتتقابل، وتتصافح النظرات بالطرف الخفى، ثم يعرض هذا ويمضى كل إمرىء لطيته فى أرض الصمت.. ثم يعودون مرة ثالثة، فتقبل الأشباح على الأشباح، فتمتد الأيدى، ولكنها باقية فى مكانها مسدلة لم تتحرك من موضعها، وتقبل الخطى ولكنها تتردد، فيذهب هذا يمينا ويذهب هذا شمالا، وتنطوى الأيام يوما بعد يوم... وسرعان ما تجلت عنهم هذه الغربة الراغبة المعرضة وسرعان ما تكشف الإعراض والإقبال عن صداقة بلا مطمع، وعن مودة صافية بلا كدر وإذا شباب تستفزه جهالة الصبى وغرارة الطباع، وألسنة «ثرثارة» لحداثة عهدها بالإبانة عما فى سر

قلوبها وعقولها، وغمرات من الفرح تخوضها بجرأة وبلا تردد، واختلاف واتفاق ورضى وغضب وصوت يعلو وصوت يهمس، وليل ينساب في نهار، ونهار يشق سدول ليل، وآت منقض ينفى الملالة عن ماض منهزم، ورأى متجهم ينشق عن مرح ضاحك واندفاع إلى غاية كالسيل الجارف، وارتداد عنها كمثل لمحة البرق، ووقار باد تهزه من تحته خفة كامنة، وطيش طليق يكف من غلوائه أدب وحياء».

«يومئذ لقيت» محمد مندور «وسائر إخوانى وزملائى أول ما لقيتهم منذ أربعين سنة، فى حدائق قصر الزعفران، مقر الجامعة، وكلنا غر بادى الغرارة وكلنا دون العشرين، ومضت أيام، وتصرمت الشهور، ومحت سنة أختها، وبدأت معالم الطريق تبدو لخطانا من حيث لاندرى ولا نحس. ولكنى كنت أولهم إحساسا بطريقى، وأسرعهم إدراكا له، وأمضاهم عزيمة على قطعه، وكما التقينا جميعا فجأة فارقت إخوانى فجأة غير متلفت إلى وراء، وغبت عنهم جميعا غيبة طويلة، غير أخ واحد، قدر لى وله أن يؤنسنى فى بعض طريقى الجديد برسائله الطوال المتتابعة، هو محمود محمد الخضيرى بقيت لنا فى كتاب القدر سنوات من الصحبة لم يكن قد حان بعد حين انقضاؤها، ولكنها انقضت هى أيضا بعد قليل بغتة ثم سرت فى الطريق الطويل الغامض غريبا، وحيدا، منفردا عن ركب الغرباء الأول كيف كان هذا، ولم كان؟ لا أدرى» ربما كانت الجملة الأخيرة تشير إلى تركه لا الجامعة وحدها بل مصر كلها مهاجرا إلى الحجاز.

ولعل القارئ يتذكر أن الصديق الوحيد الذى كان يؤنس شاكر فى بعض طريقه الجديد برسائله كان هو نفسه صديقه الوحيد الذى سبقت الإشارة لوقوفه بجانبه يوم احتدام الخلاف بينه وبين طه حسين لأنه كان من قسم الفلسفة.

أما بعض طريقة محمود شاكر الجديدة ـ فى هذا الوقت ـ أنه وإن كان قد سخط على مدارس مصر لتدريسها وفق منهج دنلوب.. فإنه فى الحجاز لم يجد مدارس أصلا، فانشغل فى إنشاء مدرسة جدة الإبتدائية بناء على طلب الملك عبدالعزيز آل سعود.. ولم يكتب سطرا آنذاك وبدأت رسائل أصدقائه تحثه على العودة إلى مصر.

أخذت هذه الرسائل تتوغل فى نفس محمود شاكر إلى أن استقرت فى أعماقه، لاسيما أنها حملت له نبأ غروب شمس حياة أخته الصغرى صفية عقب نفاث الوضع ولم تتجاوز الثلاثين، فسماع أنباء الموت للمغترب شديدة الوطأة، حيث يهيىء له أنه لولا مغادرته لما حدث ماحدث، ومع أن الأعمار بيد الله إلا أن محمود شاكر رأى أن من واجبه تلبية رجاء العودة.. فحزم حقائبه على عجل وغادر الحجاز إلى مصر.. فوجد شعبها يمور بأمواج سياسية هادرة.. حيث ارتطم الأحرار مع الوفد بشدة. مما اضطر السرايه حيالهما لإجراء انتخابات حرة عام ١٩٢٩ فاكتسحها الوفد، وبعد أن شكل النحاس الوزارة.. سافر ليفاوض هندرسون إلا أنهما تخالفا حول فصل السودان ووضع الإنجليز فى القناة، وبعد أن رفض النحاس بنود هذه المفاوضات عاد

إلى مصر فوجد أن إسماعيل صدقى ـ أحرار ـ قد قام بانقلاب ضده.. لكن النحاس رغم ذلك دعا إلى اجتماع برلمانى وعندما اجتمعت الأغلبية ـ وهى وفدية ـ فى مبنى البرلمان وجدوا أن قاعة المجلس قد أغلقت بالسلاسل فلما حضر النحاس وكان من سلطته السيطرة على حرس البرلمان أمر بتحطيم السلاسل، وعقد الاجتماع ـ وكان رئيس المجلس ويصا واصف ـ بل وأعلن إلغاء دستور ١٩٢٣.

يهيىء لى أن محمود شاكر العائد لتوه من الحجاز وقف حائرا يتلفت ويتأسف على وضع مصر السياسى، وسرعان ماعرف الكبار من علماء العصر بعودة الثائر الشاب الذى صحت آراؤه فى أقوال الدكتور طه حسين، فالتفوا حوله كشخص له كيان مستقل بعد أن كان فى نظرهم ابن الشيخ محمد شاكر.. فتبين منهم الأستاذ خضر حسين، وأحمد زكى باشا، والشيخ إبراهيم أطفيش، ومحمد أمين الخانجى، كما تعرف فى العام نفسه على الشاعر أحمد شوقى، وكان يلتقى به فى الأماكن العامة ثم تزاورا فى منزليهما، وعندما وقف محمود شاكر على حقيقة أن هؤلاء جميعا، ورغم صخب السياسة يواصلون الإنتاج، أمسك بالقلم فكتب مقالات لهذه الصحيفة وهذه المجلة.. كنشره بجريدة البلاغ عن «كتاب الأم» للشافعى.. ولكنه وجد نفسه غير قادر على المواصلة وسط هذا الفساد المنهجى المتخبط، ففضل العودة إلى تأصيل منهجه التذوقى فانغمر وذاب... حتى إنه ـ عندما أصدر الملك فؤاد أمرا بوقف الدورة البرلمانية.. أثر قولة العقاد الشهيرة: «إن الأمة على استعداد أن

تحطم أكبر رأس تمس الدستور»، وكان من نتيجة ذلك سجنه لمدة تسعة أشهر، خرج بعدها متوجها إلى ضريح سعد ليخطب فيقول: «إن الشهور التسعة التى سجن فيها ماهى إلا ميلاده الجديد» بعدها شكل النحاس الوزارة، ثم تحالف الوفد والأحرار ضد إسماعيل صدقى لإعادة الدستور.. وهتاف المتظاهرين فى الشوارع بسقوط الدكتاتور و ازاء هذا التخبط إنكب محمود شاكر فى البحث عن منهجه.

لقد نأى محمود شاكر بنفسه عن كلا الحزبين الجديدين، حيث كان تعاطفه مع الحزب الوطنى القديم وكانت هناك صلة بين والده والزعيم مصطفى كامل، كما كان شقيقه الشيخ على محمد شاكر عضوا عاملا بالحزب الوطنى فصحب شباب الحزب الوطنى واتصل برجاله، ومنهم حافظ رمضان، وعبدالرحمن الرافعى، وأحمد وفيق، والدكتور محجوب ثابت، والشيخ عبدالعزيز جاويش، وقد جاء فى طى حديثه صدفة «أنه فى هذا الوقت كان يتردد على جمعية الشبان المسيحيين وبعد سماع محاضرة بها مع ابن خاله عبدالسلام هارون، خرجا وقد انبثق فى حوارهما معا فكرة إنشاء جمعية مثلها للمسلمين، وقد أنشآها بالفعل مع أصدقائهما الكبار محب الدين الخطيب، وأحمد تيمور، والدكتور عبدالحميد سعيد.. ولكنه سرعان ما اختلف معهم محمود شاكر وذلك عندما وجد أن الجمعية حادت عن مبادئها التى سبق واتفقوا عليها

فقاطعهم.. وكتب بذلك مقالا كاستقالة نشرها فى مجلة الفتح رغم أن صاحبها هو محب الدين الخطيب الذى اختلف معه.

تعرف فى هذا الوقت على الأستاذ فؤاد صروف صاحب مجلة المقتطف.. الذى أمكنه أن يسلس قيادته أى «محمود شاكر» وإقناعه أن يستروح عن نفسه بكتابة شىء غير ماهو عاكف عليه - منهجه - فاستجاب وكتب عرضا لكتابى «أدب الجاحظ للسندوبى» و«الصاحب بن عياد» لخليل مردم.

وفى سنة ١٩٣٣ جرت أضخم معركة فكرية عن القومية العربية.. أثارها الدكتور طه حسين، حيث كتب فى جريدة كوكب الشرق «الوفدية» «إن المصريين خضعوا لضروب من البغض وألوان من العدوان جاءتهم من الفرس واليونان وجاءتهم من الترك والفرنسيين» وقد هبت عاصفة صاخبة عقب هذه العبارة استمرت ثلاثة أشهر، بل إن عدواها سرت فى جميع الأقطار العربية حيث قرروا مقاطعة كتب الدكتور طه حسين، وإحراق الذى لديهم منها.

وعندما انسحب صدقى من رئاسة الوزارة، شكل عبدالفتاح يحيى،

---

(١) «عندما نسجل إنتاج محمود شاكر من مؤلفات وتحقيقات فإننا نسجلها من كتاب «دراسات عربية وإسلامية»، وهو كتاب أهدي لمحمود شاكر من تلامذته بمناسبة بلوغه السبعين.. حيث رصدوا في مقدمته مؤلفاته من صفحة ٢٠ إلي صفحة ٣٢... وفي صفحة ٣٠ منه نعرف أنه نشط سنة ١٩٣٣ فكتب اثني عشر مقالا للمقتطف بدأها بترجمة قصيدة «صانعة الدموع» وأنهاها بالكتابة عن وفاة أمير الشعراء أحمد شوقي.

الذى كان سكرتيرا لحزب صدقى، وزارة استمرت حتى عام ١٩٣٤، وكان أحمد حسين رئيسا لحزب مصر الفتاة قد طرح مشروع «القرش» وكان هذا العام من أخصب أعوام محمود شاكر انتاجا، حيث تولى إدارة تحرير مجلة «المختار» ريدزدايجست»، التى كان يصدرها صديقه فؤاد صروف، وقد استطاع خلال فترة عمله فيها أن يقدم مستوى للترجمة الصحفية لم يعرف من قبل، وأدخل عددا من المصطلحات الجديدة فى العربية للتعبير عن وسائل واختراعات حديثة من نوع الطائرة النفاثة، ومازال عدد من الصحفيين الحاليين يعتبرون عناوين المختار التى كان يصوغها نموذجا يحتذى فى هذا الباب، وكان عاما مليئا بالنشاط، فضبط وصحح وعلق على كتاب (فضل العطاء على العسر» لأبى هلال العسكرى.. كما كتب لأول مرة فى الرسالة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل إنه قام بعرض ثلاثة وثلاثين كتابا (١)

---

(١) هى «حاضر العالم الإسلامى» لوثروب ستردارد، «ذكرى الشاعرين» لأحمد عبيد» ، «ماضى الحجاز وحاضره» لحسين محمد نصيف، «الوحى المحمدى» لمحمود رشيد رضا ، «ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم» لأمين محمد سعيد «ابن عبدربه وعنده» لجبرائيل سليمان جبور، «رحلة إلى بلاد المجد المفقود» لمصطفى فرج، «تنبيهات اليازجى على محيط البستانى» لسليم سمعون، «أنتم الشعراء» لأمين الريحانى، «تاريخ مصر الإسلامية» لإلياس الايوبى، «الا والرحمن فى تفسير القرآن» محمد جواد البلاغى النجفى، «ابن خلدون، حياته وتراثه الفكرى» عبدالله عنان، «قلب جزيرة العرب» لفؤاد حمزة، «مفتاح كنوز السنة» فنسنك، «ملوك الطوائف لدورى» الينبوع، نظم أحمد زكى أبوشادى، «النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى» ، لزكى مبارك، «ديوان عبدالمطلب» «المقتطف» مرشد المعلم «لجون ادمز وترجمة محمد أحمد الغمراوى» مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام» لمحمد عبدالله عنان» ، العاملين لرنبدرنات «طاغور» ، «القارىء يناجى شاعره» لرتشرد لاغالين.

للمقتطف مع ترجمة قصائد، أو على الأصح إفراغها فى القالب العربى هى «صـاحب المسـحـاة» لأودين» ورحـمـة الله عليـهـا» لأوسكار وايلد و«الشباب والشيخوخة» لروبنسون جفرز .

على عكس كتابات شاكر التى كانت زخمة فى العام الفائت . كان انتاجه سنة ١٩٣٥ ضئيلا جداً ، حيث لم يكتب «للمقتطف » سوى مقالتين، وأخرى للمقطم . لأنه كان يضع اللمساتْ الأخيرة فى منهجه التذوقى، مع صداقته للشاعر محمود حسن إسماعيل . ويحيى حقى ، وإن سبق قلمه فكتب أنه دخل بيت محمود شاكر عام ١٩٤٠ وأى ما كان التاريخ فقد سألت محمود شاكر عما ذكره الأستاذ يحيى حقى فى أعماله الكاملة أنه من خلال لقاءات كثيرة مستمرة ، وقراءتك لذخيرة ضخمة من كتب الإرث العربى استطعت أنت أن تكشف له عن روعة البيان وأسراره ، أو كما قال : إنك مكنته من سليقة العربية وأنك أجزته قال : ماذا تتخيلين عن هذه السنوات ؟ وهل كنا ننتهى من كتاب ونقبل على الآخر ؟ .. هذا عجيب .. لقد تخلل كل ذلك كثير من الحوارات ولعب النرد والورق ببراءة قبل أن ينقلب خيالك ، قلت له : الآن صدقت ما قاله الشيخ على الطنطاوى فى تليفزيون الكويت حيث أكد إنه تعرف عليك أيام زيارته لخاله محب الدين الخطيب .. وكنتما تلعبان كرة القدم ولكن أنت كنت تذهب لبيتك وتحقق ، حتى إن خاله أطلعه على جزء من كتاب «أدب الكاتبين» ، لابن قتيبة ، حققته أنت عام ١٩٢٦ ونشره لك فى دار الفتح فهز رأسه مؤكدا صحة الواقعة !

واقعة أخرى تشى بنبوغه المبكر توافق إعادة دستور ٢٣ عندما تكونت وزارة محمد توفيق نسيم ، ثم انتفاضه الطلبة بزعامة الطالب

عبدالحكيم الجراحى وهتاف الطلبة «رفعت القلم يا عبدالحكيم» . فى حين أن الدكتور طه حسين بدأ ينشر فى جريدة الجهاد مقالات تسع رجع فيها عن أقواله فى الشعر الجاهلى . بدأها بمقالة عنوانها : «أثناء قراءة الشعر القديم» ، وأدار الحديث بينه وبين صاحب له قال له وهو يحاوره : «إنكم لتشقون علينا حين تكلفوننا قراءة شعركم القديم هذا ، وتلحون علينا فيه ، وتعيبوننا بالإعراض عنه ، والتقصير فى درسه وحفظه وتذوقه لأنكم تنكرون الزمن إنكاراً وتلغونه إلغاءً ، وتحسبون أننا نعيش الآن فى القرن الأول قبل الهجرة أو بعدها .. ثم يتوالى نقده لهذا الصاحب طوال مقالاته التسعة ، بل علق بأن أمثال صاحبى هذا أخذوا يكثرون ، ويظهر أنهم سيكثرون كلما تقدمت الأيام .

وربما استراح محمود شاكر لعودة الدكتور طه إلى الحق فى مسألة الشعر الجاهلى . زد على ذلك أنه فى هذا العام أو قبله بقليل، كان الأستاذ فؤاد صروف ، قد كلفه أن يكتب كلمة مسهبة احياء لذكرى أبى الطيب المتنبى فى مرور ألف عام على وفاته ، وقد قال محمود شاكر أنه قد تلقى هذا التكليف متحمسا ، فقد كان ديوان المتنبى كما عرفنا هو أول ديوان حفظه عن ظهر قلب زد على ذلك أنه كان قد وصل إلى منهجه التذوقى وأراد أن يطبقه على ديوان المتنبى .

وقد صادف تشكيل وزارة وفدية ، ثم تشكيل الجبهة الوطنية برئاسة النحاس استعدادا لمفاوضات معاهدة سنة ١٩٣٦ . ظهر العدد الممتاز من مجلة المقتطف حيث صارت الكلمة المسهبة التى كلف محمود شاكر

بكتابتها صارت أول دراسة وافية عن المتنبى ، ألغى بها إلى حد كبير جميع المؤلفات التى سبقته عن المتنبى ، ويعتبر هذا العام عام شهرة محمود شاكر ... فقد أحدث هذا العدد الممتاز دويا لف هديره كل البلاد التى تنطق بالضاد ، جعلته يشعر بفترة من السعادة والارتياح . لأن هذا النجاح أثبت أن منهجه التذوقى - الذى لم يكن قد أبان عنه - قد نجح بنجاح أول ثماره .

وكأن محمود شاكر قد اعتبر المائة والسبعين صفحة التى احتلها بحثه هى نصيب المقتطف من وقته ، فلم يكتب لها شيئا غيره فى هذا العام ، حيث اتسعت خطواته خارجها إلى جريدة البلاغ ، ومجلة الرسالة ، فنشر فى الأولى أربع مقالات عن ترجمة القرآن الكريم فى صحيح البخارى ، وفى الكتب المنزلة . ونشر فى الرسالة أربع مقالات أخرى حول نبوة المتنبى ثلاث منها رد بها على الأستاذ سعيد الأفغانى والرابعة رد بها على الأستاذ عبدالمتعال للصعيدى .. مع ثلاث قصائد تدور حول معاناته للحب.. مما يعيدنا إلى الأبيات الستة أو «نفثة قديمة» التى استروحها استهلالا بكتابة بحث عنه «المتنبى» ، وكان شعاره الرئيسى لهذه القصائد وما تلاها «ديوان البغضاء» ، وربما جاء هذا الاسم الغريب من شاعر محب . لأن أول قصائده فيه كانت قصيدة «انتظرى بغضى» ثم قصيدتين «حيرة وعقوق» وقد تكون لنا مع محمود شاكر محبا وقفة مواتية .. إذ يستحسن الكلام بعد تمامها، ذلك أن فى السنوات المقبلة قصائد أخرى .

وما أن دخلت سنة ١٩٣٧ إلا ووجدنا محمود شاكر منكبا يقرأ فى

كتاب «مع المتنبى» الذى أصدره الدكتور طه حسين لأن من حق المتنبى عليه أن يقرأ كل ما كتب عنه . وهناك وقع نظره على أشياء وأشياء ، مما كتبه هو ذاته عن المتنبى فكتب عنها للرسالة اثنتى عشرة مقالة كانت الأولى فى ٣ مارس والأخيرة فى ١١ مايو ذلك أن الرسالة كانت تظهر ككل المجلات الأدبية أسبوعيا وليس شهريا أو فصليا كما هو الآن والسبب الذى دعا شاكر إلى التوقف عند هذا العدد ، أن صديقه الرافعى قد توفى فحزن عليه وانشغل به ، حيث عرض كتابه «وحى القلم» للمقتطف كما شيعه بقصيدة مرسلة نشرت فى الرسالة » .

فى عام ١٩٣٨ حدث انقسام بين صفوف الوفد وظهر السعديون بزعامة أحمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى وعاد الدكتور طه حسين مرة أخرى إلى معارضة الجامعة العربية انتصارا للفرعونية ، وعندما هوجم بشدة نشر فصلا من كتابه «مستقبل الثقافة» حيث طرح رأيه بصورة أخرى ، وفى هذه الأثناء أخذ محمود شاكر امتياز مجلة العصور - العلمية ، العلمانية الاتجاه - التى كان يصدرها إسماعيل مظهر ليحولها إلى ثقافية أدبية فكتب فى ضوء المنهج الجديد افتتاحية شهر نوفمبر ثم اتحفها بمقال - إلى جانب رئاسته - عن تهيئة الشرق لوراثة الحضارات والمدنيات فى شهر ديسمبر . وكان قد كتب للرسالة خمس مقالات بعنوان «بين الرافعى والعقاد» كما رد على سيد قطب فى هجومه على الرافعى .. وكذلك على على طنطاوى، وفى سنة ١٩٣٩ عاد حزب الأحرار حيث شكل محمد محمود الوزارة ، وفى قاعة مجلس

النواب توفى حسن صبرى ، وهو يلقى كلمة فى اجتماع البرلمان ومن صدف الحياة أن يتوفى الشيخ محمد شاكر فى نفس السنة ، وفى بيت ابنه محمود ، وكان قد استقل بمنزل خاص وقرر أن يتولى مسئولية أبيه - فأحضر له ممرضة تشرف على تمريضه مع أخته عزيزة التى لم تكن قد تزوجت

وقد توقفت مجلة العصور التى رأس تحريرها محمود شاكر .. بعد صدور عددين منها فى طباعة جميلة وإخراج مبهر ، ولما علم محمود شاكر أن الأستاذ الزيات غضب من إنشاء هذه المجلة كتب مقالا نشر في الرسالة بعنوان «من صاحب العصور إلى صاحب الرسالة» .

وكتب لمجلة الرسالة أيضا عن ذات النطاقين . ثم مقدمة حياة الرافعى التى تصدرت كتاب سعيد العريان الذى عمل مدة طويلة سكرتيرا للرافعى وبعدها تفاقمت أزمته المادية ، ربما بسبب وفاة والده .. وحرمانه مما كان يغدقه عليه . وهنا نذكر أنه كما قال الأستاذ فتحى رضوان عنه: «ولما بدأ حياته بهذه البداية ، التى ما كانت تليق إلا بشيخ، اضطرته كل وقائع حياته على ما يشبه هذه البداية ، ويليق بها . ولم يلق برجل أخذ على عاتقه أن يشن هذا الجِهاد ويرفع أعلامه ، أن يكون موظفا يمد يده نهاية كل شهر إلى مرتب ينتظره ، وأن يكون للحكومة كلمة نافذة فى رزقه ومكانته ومكان عمله، فانقطع لعلمه وفكره ، ومكتبته وبحثه ودرسه ، وزملائه ، وتلاميذه ، كأنه الراهب المتعبد ، وقد كان المنتظر أن يكون فى مصر والبلاد العربية والإسلامية مئات بل آلاف

يتحررون تحرره وينقطعون للرسالة التى نذروا أنفسهم لها - انقطاعه ، ولكن للأسف الممض ، لم يكن لمحمود شاكر أشباه وأنداد فكان نسيجه صدقا وحقا» .

فى هذا الوقت أشار عليه أخوه الأكبر الشيخ أحمد شاكر أن يتجه إلى التحقيق .

كان عام ١٩٤١ أخصب إنتاج لمحمود شاكر على الإطلاق . فقد حقق وشرح وصحح كتابى «إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء» و«الأموال والحفدة والمتاع» لتقى الدين المقريزى ، وكتاب المكافأة وحسن العقبى» لأحمد بن يوسف بن الداية الكاتب .. بجانب قصيدتين فى الرسالة مع حوالى عشرين مقالة للرسالة بجانب توليه تحرير «باب الأدب فى أسبوع» زد على ذلك أنه كتب للمقتطف «علم معانى أسرار الحروف - سر من أسرار العربية» . وأحد عشر مقالا للدستور أبرزها «خطاب مفتوح إلى على ماهر باشا » فقد كان عام وزارة حسين سرى وعلى ماهر ، ولا تظن أن دخل محمود شاكر زاد وربا من الرسالة .. فقد كتب الأستاذ عباس خضر فى مذكراته بمجلة الدوحة القطرية أنه ومحمود شاكر لم يتقاضيا من الرسالة أجرا مقابل مقالاتهما .

فى سنة ١٩٤٢ هبط إنتاج محمود شاكر من مئات الصفحات إلى صفحة واحدة عن امتاع الأسماع ، نشرها فى الرسالة .

★★★

وعندما نتذكر سنة ١٩٤٢ يتداعى إلى الذهن فورا حادث ٤ فبراير،

وما تطور عنه من أحداث - اختلف تفسير مؤرخى الوفد مع غيرهم فى تبريرها - وتأكد لمحمود شاكر أن نظرته كانت ثاقبة حيال بعده عن الوفد والأحرار معا .. وفى هذا الوقت .. بدأ يكتب للرسالة سلسلة من المقالات تحت عنوان أيام حزينة من مذكرات عمر بن أبى ربيعه .. «الطريق إلى الحق» كما ترجم «ذكرى أم كلثوم» للشاعر التركى إبراهيم صبرى ، وخص المقتطف بتعليق عن «عبقرية عمر» للعقاد .

فى سنة ١٩٤٣ نشر قصيدته «تحت الأنقاض» فى مجلة الرسالة وواصل الكتابة عن عمر بن أبى ربيعة فى مقالتين «جريرة معاد» ، و«صديق إيلين» وخص المقتطف بثلاث مقالات عن ذى الرمة «ولما كانت إقالة وزارة الوفد سنة ١٩٤٤ متوازية مع ظهور دعوة عبدالعزيز باشا فهمى لكتابة العربية بالأحرف اللاتينية - تقليدا لكمال أتاتورك فى تركيا - كتب محمود شاكر للرسالة مقالاً هاجم فيها هذه الدعوة بعنوان «الحرف اللاتينى والعربية » بجانب مواصلته للكتابة عن عمر بن أبى ربيعه «كما كتب أخوه أحمد شاكر كتيباً صغيراً موجها لعبد العزيز باشا فهمى تحت عنوان «الشرع واللغة» .

وفى سنة ١٩٤٥ غاب محمود شاكر عن الساحة الأدبية ولم يكتب سطرا فقد أغتيل على ماهر باشا .. وهو شخص كان محمد شاكر يأمل أن ينصلح حاله وان ينصلح به الحال، وعاد محمود شاكر سنة ١٩٤٦ للكتابة فى الرسالة.. ولكنه لم يكتب إلا مقالة واحدة كل شهر كان أبرزها مقالتين «احذروا أيها العرب» ، « من استرعى الذئب ظلم» .

وفى هذا العام أنشأ المرحوم فتحى رضوان بالاشتراك مع نور الدين طراف وسعد كامل ما سمى بالحزب الوطنى الجديد ، تمييزا عن الحزب الوطنى الذى كان قائما برئاسته محمد حافظ رمضان ، كما ظهرت مجلة الكاتب المصرى بتمويل يهودى ، وقد رأس تحرير هذه المجلة طه حسين .

سنة ١٩٤٧ بدأت مفاوضات صدقى - بيفن - وقد ضاعف شاكر من قوته فى الكتابة حيث كتب ستا وعشرين مقالة للرسالة أخذ أغلبها الطابع السياسى الوطنى مثل «لا تدابروا أيها الرجال» ، «إنه جهاد لا سياسة» ، «الخيانة العظمى» ، «الجلاء الأعظم » ، «نحن العرب » ، «الحكم العدل » ، «هى الحرية » ، «قضى الأمر» ، «أسد أفريقيا» ، «شعب واحد وقضية واحدة» .

وربما كانت نبرة شاكر السياسية الوطنية ١٩٤٧ م تعبيرا عما يعتمل فى نفسه من أحاسيس وطنية لايرى صداها المتوجب فيمن حوله .. فقد قامت بعدها حرب فلسطين فى عام ١٩٤٨ ودخل الجيش المصرى الحرب . حدث ماهو معروف «حصار الفالوجة» ثم أغتيل محمود فهمى النقراشى وشكل إبراهيم عبدالهادى الوزارة وبطش بجماعة الأخوان المسلمين . واستمرت نبرة محمود شاكر السياسية الوطنية عالية وفى الصميم تحت عناوين «ويحكم هبوا» «لا تملوا» ، «الفتنة الكبرى» ، ثم «لمن أكتب» .

وفى سنة ١٩٥٠ كان تعيين حسين سرى رئيسا للوزراء تمهيداً

لإجراء انتخابات جديدة ، وقد فاز الوفد فى هذه الانتخابات وذلك فى يناير ١٩٥٠ ولم يكتب محمود شاكر خلال هذه الفترة سوى مقالة واحدة للرسالة بعنوان «على حد منكب » . لحزنه على ما آلت إليه فلسطين .

وعندما أنشأ الأستاذ فتحى رضوان مجلة اللواء الجديد المعبرة عن مطامح الحزب الوطنى الجديد سنة ١٩٥١ ، انضم محمود شاكر إلى هيئة تحريرها فقد كانت الصداقة قد توطدت بينه وبين فتحى رضوان فى أوائل الأربعينات ، فكتب عدة مقالات سياسية «لاتنسوا» ، «عدوى وعدوكم» ، «أندية لا ناد واحد» ، «لاتخدعونا» «احذروا عدوكم» ، «فى خدمة الاستعمار» .. ولكن عندما نشر الأستاذ سيد قطب مقالات يهاجم فيها الدولة الأموية ، رد عليه محمود شاكر في جريدة «المسلمون» التى تصدرها جماعة الأخوان المسلمين التى ينتمى إليها سيد قطب بثلاث مقالات تحت عنوان «حكم بلا بينة» «تاريخ بلا إيمان » و «لاتسبوا أصحابى»

وفى يوليو ١٩٥٢ اندلعت الثورة بزعامة جمال عبدالناصر ، وكان محمود شاكر من المتحمسين لها جدا .. وإن كان الحماس سيخفت كما سنرى بعد ذلك .

لذلك كله نجد أن محمود شاكر تألق فى أول هذا العام.. فقد واصل مراجعته للأستاذ سيد قطب فى جريدة «المسلمون» فكتب مقالته الشهيرة عن الدولة الأموية تحت عنوان «السنة المفترى عليها» وقد سبق

الإشارة إليها كما نشر قصيدته الشهيرة «القوس العذراء» فى مجلة الكتاب «ودخل معركة حولها مع كل من الأساتذة جمال مرسى بدر ومحمد سعيد المسلم نشرت فى «الكتاب» أيضا - كما حقق وشرح كتاب «طبقات فحول الشعراء» لمحمد بن سلام الجمحى لدار المعارف .

وما أن ألغت الثورة الأحزاب السياسية ، حتى وجدنا الفتور السياسى يدب فى أوصال المجتمع وانعكس هذا فى طابع مقالات محمود شاكر الأربع للرسالة حيث كتب يتساءل «فيم أكتب؟ » ، «وأبصر طريقك» ، «وباطل مشرق» إلى الكتابة نهائيا فى الصحف فكانت مقالته «غرارة ملقاة» حيث أغلقت الرسالة - وقد توقف معه عن الكتابة فى هذا الوقت الاستاذ نجيب محفوظ ، وهما للعلم متشابهان فى كثير من جوانب الحياة - كما خبرتهما معا- ولا سيما الجوانب المادية وعدم الحرص عليها فضلا عن الصبر والجلد على بلوغ الغايات مهما كانت الثقة والمشقة! .

وعندما أبعد محمد نجيب من رئاسة الجمهورية ، وذلك بعد ما سمى بأزمة مارس سنة ١٩٥٤ ، والتى تلاها اتفاقية الجلاء، ظهر الجزء الأول والثانى من تفسير الطبرى لدار المعارف أيضا . وتوالت الأجزاء الستة عشر ، وفقا لحركة المجتمع نشاطا وخمولا ، فظهر الجزء الثالث والرابع والخامس منه سنة ١٩٥٥م مع مؤتمر باندونج .. وظهور مبدأ الحياد الإيجابى وعدم الانحياز .

ومع ظهور الجزء السادس والسابع والثامن كان الاحتفال بجلاء

آخر جندى إنجليزى ، ومقاطعة مصر للإستيراد من الغرب ، ثم عقد صفقة الأسلحة التشيكية ، والاعتراف بالصين الشعبية ، ورفض الصندوق الدولى تمويل مشروع السد العالى ، وتأميم قناة السويس ، والعدوان الثلاثى على مصر - فشل العدوان - الانذار الروسى سنة ١٩٥٦ - النقطة الرابعة نظرية الفراغ - توازى مشروع ايزنهاور سنة ١٩٥٧ الخاص بنظرية شغل - إثر - خروج انجلترا وفرنسا من الشرق الأوسط ، ومحاولة أمريكا الحلول محلهما مع ظهور الجزء التاسع والعاشر ، والثانى عشر من الطبرى، كما أسس محمود شاكر فى نفس الوقت دار نشر «العروبة» مع زميليه: محمد رشاد سالم ، وإسماعيل عبيد .

وفى سنة ١٩٥٨ لم يظهر إلا الجزء الثالث عشر والرابع عشر من تفسير الطبرى . فقد توفى الشيخ : أحمد شاكر الذى كان يراجع أحاديثه .. فكتب عنه مقالا لمجلة «المجلة» ، التى كان يرأس تحريرها أنذاك صديقه يحيى حقى كما كتب «فصل فى إعجاز القرآن» كمقدمة لترجمة الدكتور عبدالصبور شاهين لكتاب» الظاهرة القرآنية» للمفكر الجزائرى مالك بن نبى .. وقد ظهر فى هذا الوقت الاتحاد القومى ، ثم تمت الوحدة بين مصر وسوريا . ثم تأييد عبدالناصر للثورة العراقية ١٩٥٩ ولقائدها عبدالكريم قاسم ، هذا الأمر الذى أشفق منه محمود شاكر على من لا يعرف قصة التمزيق الذى أحدثه الأستعمار فى كيان الأمة العربية والإسلامية ، منذ بدأ سلطانه عليها و ... و... ولما كانت

الأزمة مع الاتحاد السوفيتى . وخلاف عبدالناصر مع خريشوف سببا فى القبض على الشيوعيين فى مصر . وقد سبقهم الإخوان المسلمون وأصبح الشارع المصرى يتهامس بما يدور فى المعتقلات والسجون من تجاوزات .. كان محمود شاكر فى حالة هلع فلا يخفى سخطه . واستنكاره ..وكان أن دخل السجن لأول مرة فى شهر فبراير إلى أكتوبر ١٩٥٩ ميلادية .. كما جاء على لسان الشيخ حسن الباقورى فى معرض تبرير استقالته من وزارة الأوقاف ... ولم يكتب بالطبع سطرا واحدا ولكنه عندما خرج من المعتقل ، كان المؤتمر القومى للقوى الشعبية قد ظهر للوجود ، وأخرج محمود شاكر الجزء الخامس عشر من الطبرى سنة ١٩٦٥ ، ثم السادس عشر، ولم تتم الأجزاء الأربعة عشر لخلافه مع دار المعارف وبعدها حدث انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة وعاد اسم مصر لها سنة ١٩٦١ . ومع قيام الأتحاد الأشتراكى ١٩٦٢ ، قامت الثورة اليمنية . وصدر القسم الأول من «جمهرة نسب قريش وأخبارها ، للزبير بن بكار الذى شرحه وحققه محمود شاكر عن مكتبة دار العروبة ١٣٨١ هـ . الذى استنفد طاقة محمود شاكر حتى أنه لم يكتب سطرا فى سنة ١٩٦٣ كما حدث انقلاب ١٤ رمضان بالعراق .

ومع التفكير فى إنشاء التنظيم الطليعى وهو تنظيم سرى ينبع من الأتحاد الأشتراكى العربى سنة ١٩٦٤ ميلادية خرج الشيوعيون من المعتقل ، وزار مصر خريشوف .. قرب نهاية تنفيذ مشروع السد العالى

– وتحويل مجرى النيل – ظهرت قصيدة القوس العذراء لمحمود شاكر في ديوان خاص ، وتزوج في هذا العام ، وتسنى له مراجعة كتاب «شرح أشعار الهزليين» صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكرى – ثلاثة أجزاء – الذى حققه عبدالستار أحمد فراج – وماهى إلا شهور حتى نشر الدكتور لويس عوض عدة مقالات تحت عنوان «على هامش الغفران شئ من التاريخ» بجريدة الأهرام ، وذهب فيهما إلى تأثر المعرى بحديث الإسراء والمعراج ، كما ألمح إلى أثر الأساطير اليونانية وغيرها في الحديث النبوى ، ووجد محمود شاكر أن تهافت هذا الكلام فرصة مواتية يعلم فيه هذا الجيل شيئا من تاريخ الدمار الذى ألحقه الاستعمار بأبنيتنا اللغوية والثقافية والتعليمية ..

وعندئذ فك أصفاده التى كانت تحجبه عن الكتابة للصحف، وكتب لمجلة الرسالة الجديدة خمسة وعشرين مقالة تناول فيها ماطرأ على العالم من حركة التبشير ، وما انطوت عليه هذه الحركة من أساليب ووسائل – كالمناداة بالكتابة بالعامية ، وغيرها . وقد طبع من هذه المقالات الجزء الأول من كتابه « أباطيل وأسمار» ثم ولد ابنه فهر .. وصار يلقب بعدها بأبى فهر .وإن كان هذا الاسم لم يتصدر هذا الكتاب لأن المجلد الثانى منه قد صودر ، حيث حدث ضد محمود شاكر تكتل من بعض شيعة الدكتور لويس عوض، كان من آثارها أن سيق محمود شاكر مرة أخرى إلى السجن ولبث فيه لثمانية عشر شهرا – حدثت خلالها أحداث من أبرزها تلبية الفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر لآخر دعوات مصر له، التى لم يلبها من قبل في مارس ١٩٦٧

ليقول رأيه فى القضية التى سميناها مشكلة الشرق الأوسط - كما أنتجت المصانع الحربية المصرية صاروخين شدت بهما أم كلثوم «بالعمل وبحب ناصر انطلق ظافر وقاهر» .. ثم لم يكن لهما أصداء فى الحرب بعد ذلك بشهور أى الطامة الكبرى أو هزيمة يونيو ١٩٦٧ فأفرج عن المعتقلين .

ويقول ابن أخيه عبدالرحمن أن عمه محمود شاكر قال له بعد خروجه من السجن ، أن نبأ الهزيمة قد أصابه بالدوار حينما بلغه فى السجن، حيث رأى أن الاستعمار يفعل بجمال عبدالناصر وحركته ، ما فعله من قبل بمحمد على وحركته ، احتواها من الداخل ، ثم دمرها لمزيد من تدمير الأمة ودفع أبنائها إلى اليأس من كل شئ .

نقطة نظام :

لاشك أن القارئ ظن أن سردى للأحداث السياسية الموازية لحياة شاكر ... كان لإبراز رد فعل الأولى على الثانية ، ومن ثم فقد افتقدها ، مما يؤكد صحة مراجعة الكتاب الإنسانيين للمؤرخين حتى يكفوا عن تشبيه الإنسان بالدولة ، لأنهما مختلفان، فالدولة قد تنقلب رأسا على عقب بين عشية وضحاها .. بينما يرتبط يوم الإنسان بأمسه مستشرفا غده .. محصننا من هذا الانقلاب . والعصور تتغير ولكن الإنسان واحد ، زد على ذلك أن الحدث السياسى لاتفهم حقيقته إلا بعد كشف أسبابه الخفية فنحن فى الخامس من يونيو ٦٧ ... كنا نظن أننا سنصلى المغرب فى تل أبيب .. وبعدها عرفنا النكسة .. والأحداث السياسية

التى اختلف مظهرها عن مخبرها كثيرة فى كتب التاريخ ، وهذه فرصة لأذكر القارئ أننى ما أتيت بهذا التوازى إلا لتعريف القراء ما لا يعرفونه عن محمود شاكر بما يعرفونه من الأحداث السياسية التى تعلمناها فى المدارس ..

لذلك نجد أنه فى سنة ١٩٦٨ عندما أعلنت أحكام الطيران .. ووجد الطلبة أنها لا تتناسب مع فداحة النكسة قاموا بمظاهرات .. هتفوا فيها ضد عبد الناصر . نجد شاكر ينشر فى مجلة العربى عن «قرى عربية» ومع بداية حرب الاستنزاف وإغراق المدمرة إيلات .. وقيام النميرى بإنقلاب فى السودان ١٩٦٩ ، لم يكتب محمود شاكر شيئا لا سيما وقد ولدت ابنته زلفى .

أما فى سنة ١٩٦٩ فقد قرأ محمود شاكر مقالات كتبها الدكتور عبد الغفار مكاوى عن تأثر الشاعر الألمانى جوته بالأدب العربى ، وبناء القصيدة فيه من خلال قصيدة للشاعر الجاهلى الصعلوك «تأبط شرا» .. ترجمها الكاتب عن الألمانية .. ووقع فى ترجمته لها فى هفوات لا يقع فى مثلها من له أدنى علم بالعربية ولكن يحيى حقى .. لسذاجته أو هكذا يقول محمود شاكر .. أعجب بهذه القصيدة بل اهتز لها .. ودعا إلى النظر إليها بعين هذا الأعجمى ، والإعجاب بها ، والتعظيم ، كما كان من جوته ، فكتب شاكر سبع مقالات يراجع بها الناشر والمترجم والمترجم له واستمرت شهور أبريل ، سبتمبر ، نوفمبر ، مارس ١٩٧٠ .

تحت عنوان «نمط صعب .. نمط مخيف» توغل فيهما فى دروب أدبية ولغوية متشعبة .

ومع آخر المقالات .. حاصر الملك حسين الفلسطينيين فيما سمى «بأيلول الأسود» وعقد عبد الناصر مؤتمر قمة طارىء لبحث هذه المشكلة ، ثم توفى أثر توديعه لآخر عضو فيه .. وتولى أنور السادات الحكم وهو شخصية محبوبة لدى الأستاذ محمود شاكر .. ومن الصدف السعيدة بالنسبة لى دخولى بيت محمود شاكر هذا العام . وكثيرا ما أسأل نفسى عن أهم ما حزته من مكاسب معرفية وإنسانية منذ دخلت البيت الشاكرى فأجدها تجل عن الوصف والحصر ، أذكر منه الأكثر وهجا .. ألا وهو مواكبة آثار معاناته وهو ليسمق ليطول منهجه التذوقى .. موشحة بجوانب أصيلة من نفسه ذاته، ماثلا أمام عينى على هوامش مكتبته المدروزة بالكتب ، كما وصفها الأستاذ يحيى حقى ، حيث أننى لم أستل كتابــــا من هذه المكتبـة التى بها بعض بيته ، إلا وقرأت تعليقاته الجمة المتكاثرة تملأ الهوامش . وأغلبها ويا للعجب تصويبات لصاحب الكتاب ، ومن الأغرب أيضا أنه يصوب الفهرس ، حتى إذا كان المؤلف قد جاء بحكم ، ولم يبرره أو يوثقه أو يعنعنه ، فإنه يقوم بهذه المهمة تصحيحا للتاريخ ومصداقية والعلم حتى ينتفع به طلابه الذين يقصدونه تباعا ! .

ورغم أن الأستاذ شاكر كان يمنعنى من تسجيل هذه الهوامش

والاكتفاء بقراءتها فحسب فإنني استطعت تسجيل بعضها خلسة ، أذكر منها على سبيل المثال ، ما جاء في هامش كتاب «على السفود» الذي كتبه الرافعي في نقد العقاد وشعره سنة ١٩٢٦ . فعندما أنشد العقاد قصيدة في «محمد بن صديقه المازني» وعزوز «ابن أخت العقاد»:

وأيما أحلى وكن عادلا	فأنت من يقضي على بكره
ذر الثنايا في عقيق اللثى	أم فمه الفارغ من دره

كتب الرافعي مراجعا العقاد : اللثى جمع لثة في لغة العقاد وحده يعني في جهله وعاميته ، وإنما تجمع على لثات لا غير ، وهي مغرز الأسنان سميت كذلك لأن لحم الأسنان ليث بها أي دار بها ، ولو جمعت على «لثى» بالقصر لكان المغرز لثاه أو لثوه ، وهذا كله يصلح في لغة العقاد وحدها .

فما كان من شاكر .. إلا أن كتب في الهامش : هذا تهجم ، وظلم لرجل مكلوم ، فإنها تجمع على لثى وليثين .

وفي هامش آخر من نفس الكتاب ، كتب الأستاذ الرافعي مراجعا العقاد في بيتين في وصف رجل أحدب :

قصرت أخادعه «وغاب» قذاله	فكأنه متربب أن يصفعا
وكأنه قد ذاق أول صفعة	وأحس ثانيا لها فتجمعا

فكتب عنه الرافعي : فكأنه متربص أن يصفعا «من العامية» التي

لا ينقلها إلا عامى مثل العقاد ، لأن التربص يا عقاد الجرائد لا يكون إلا فى الانتظار الطويل الذى لابد فيه من مكث وتلبث ، وبهذه الكلمة يفسد الوصف .. ويرجع هراء ، وهل إذا قصرت الأخادع وهى كناية عن قصر الرقبة يطول القفا ؟ أم ذلك الأحدب قد استعار قفا العقاد .. فانخسفت رقبته .. ومع ذلك طال قذاله : معجزة لجبار الذهن .

فكان تعليق محمود شاكر على هذا المقطع هكذا .. وضع خط أحمر تحت كلمة من العامية التى لا ينقلها إلا عامى ، ثم كتب فى الهامش . أوردها الشهابى الخفاجى فى رحابة الأحياء «منسوبين» لعبد الله بن النطاح» صفحة ٢٢٠ ، وأوردها «أبو السلط» وفى رسالة «أبو محمد عبد الله بن النطاح، الكاتب معاهد التنصيص صفحة ٢٢٨ ، وأوردهما «الشهابى» أيضا فى طراز المجالس صفحة ١٧٤ ونسبها «لأحمد بن جّهور الأشبيلى» وخرافة الأدب صفحة ٢٢٠ ، ورواها «أبو السلط» فى الرسالة المصرية ، و«نوادر المخطوطات» لأبى محمد بن الصوفى الحنبلى» .

هذا طرف من هوامش كتيب واحد لم يكتب مؤلفه «١» اسمه عليه .. وهو أستاذه الذى أخلص له حيا وميتا .. ورغم ذلك لم يتمالك محمود شاكر من شدة جبلته على الموضوعية والحق والحياد العلمى أن يسجلها على الكتاب يوم صدوره . وهى دفاع عن

---

(١) رمز الرافعي بدلا من اسمه بـ «بقلم إمام من أئمة العلم» .

العقاد «١» الذى كان يظن فى هذا الوقت أن شاكر هو ظهير الرافعى ضده .

ومما يؤكد لنا شدة محمود شاكر فى الحق والإنصاف ، وتطلبه الدقة فى التعبير والتحرى عن أصل اللفظ .. فاللغة والثقافة أن خلافه لم يكن موجها إلى الدكاترة طه حسين ، ولويس عوض ، وعبد الغفار مكاوى ، لأسباب مذهبية أو حزازات شخصية .. فها نحن نراه ثابتا على نهجه عند مواجهة أستاذه وحبيبه الرافعى الذى طالما آزره وتوسم أن يكون خليفته ، كذلك نجده يستدرك على أخيه العلامة أحمد شاكر فى بعض تخريجاته فى مسند أحمد وبعض الآثار التى أخرجها فى تفسير الطبرى .. كما لا ننسى استدراكاته على الأولين من علماء الأمة القدماء ، وإذا كان من المهاترة أن نحاول إثبات تكامل شطرى المنهج عند شيخ العربية أى تملكه للغة والثقافة العربية - فإن الهوامش والاستدراكات السابقة أثبتت لنا .. ونحن لسنا فى حاجة لهذا الإثبات - على إمتلاك محمود شاكر للركن الثالث .. وهو البعد عن الهوى أو الأصل الأخلاقى الذى قال عنه فى تذوقه إنه الداء المبير ، والشر

(١) نقد العقاد الرافعي في كتابه (الديوان) الذي اشترك في تأليفه مع الأستاذ إبراهيم المازني ، وكان نقد العقاد تحت عنوان «ما هذا يا أبا عمر ؟ ثم نقده أيضا في جريدة البلاغ في كلامه عن إعجاز القرآن ، ونشر هذا النقد في كتابه «ساعات بين الكتب» ، «تحت عنوان» كلمة في المعجزة وكلمة أخرى في الكتاب» .

المستطير والفساد الأكبر ، إن هو ألم بأى عمل إلمامة خفية الدبيب بل الوطء المتثاقل أحاله إلى عمل كريه ، حتى لو جاء فى أحسن ثيابه وحليه وعطوره - كما سنرى عند عرضه .

وإذا كنا قد أبرزنا ملاحظاته عن كتيب صغير ، فذلك راجع إلى أن هوامشه على كتب إرثنا العربى شىء مهول حيث الهوامش والتعليقات تزيد على الكتاب نفسه ، ومثل هذا لا يحتاج كالكتاب الفائت إلى إشارات عابرة .. وإنما إلى رسالة جامعية كاملة لأنه يهتم فيها بكل شىء من المقدمة إلى الفهرس .. على نحو كتاب «معجم الشعراء» . «للإمام أبى عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى «١» : الذى طبع معه كتاب «المؤتلف والمختلف» من أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم ، وبعض شعرهم «للإمام أبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى «٢» .. ولأن هذا الكتاب أو الكتابين المضمومين قد بدأ بفهرس للتصويبات والاستدراكات بقلم المستشرق «الدكتور فكرنكو» فإن الأستاذ محمود شاكر راح يصوب هذه التصويبات والإستدراكات نفسها ، ويشير إلى المصادر التى كان يجب على الدكتور المصوب الرجوع إليها .

والكتاب فى ٥٥٣ صفحة لم تخل صفحة واحدة من التصويب والتعليق ، وبطريقته المعهودة يضع خطا أحمر تحت الكلمة المشكوك

(١) المتوفي سنة أربع وثمانين وثلاثمائة

(٢) المتوفي سنة سبعين وثلاثمائة .

فيها ، أو غير المؤيدة ، ثم يكتب على الهامش تصويبها من المراجع المختلفة بالصفحات والسطور ، أما إذا زادت التعليقات ولم يكف الهامش ، فإنه يكتب فى الفراغ الذى يعلو الصفحة أو فى ذيلها .

ولأن هذا الكتاب بالذات حوى كتابين – بعض الكتب تحوى ثلاثة – فإنه يعلق فى الفجوات .. أى عندما يكون السطر قصيرا فى نهاية جملة .

أما الكتب المصورة فهو يضمن تعليقاته فى أوراق منفصلة ، يضعها أمام الصفحة ، وهذا كله ، وإن أثبت ذاكرته القوية اللماحة وغزارة وتنوع ما قرأ .. فإنها تفسر سبب قلة كتبه التى لم تبلغ المائة كما يرى عند بعض العلماء .. ولعل طغيان هذه التعليقات والهوامش على أغلب كتبه تعيدنى دوما إلى رد «الأمام الليث بن سعد» – حيث تلاميذ محمود شاكر يشبهونه بهذا الفقيه – عندما سأله «محمد بن القاسم : امتع الله بك يا أبا الحارث ، إنا نسمع منك الحديث ليس فى كتبك ، فقال الليث : أوكل ما فى صدرى فى كتبى ؟ مع إبدال الصدر فقط عند الليث بالهوامش وقوة الذاكرة عند محمود شاكر .. والتى صورها د . محمود الطناحى حيث كتب : «خرج من بيت محمود شاكر رسائل كثيرة ، أكل بها أصحابها الأموال ، تسنموا بها الذرى ، وإذا حدثك أحد أنه استفاد من مكتبة الأستاذ محمود شاكر ، فلا تظن أنه استفاد من مكتبة كتلك التى فى دور الكتب . إن مكتبة الأستاذ زاخرة بالحواشى والتصحيحات

والإحالات ، وإنى لأعلم علم اليقين أن بعض دواوين الشعر القديمة التى أعيد تحقيقها قد قامت على تصحيحات الأستاذ وتعليقاته التى قيدها على الهامش ..» . ولا يزال الأستاذ .. حفظه الله .. مع علو سنه ، على صلة وثيقة بالقراءة والإفادة . أما الدكتور ناصر الدين الأسد ، فكان تعبيره عن هذه الزاوية فى شخصية محمود شاكر هكذا : «ليس مبلغ علمه هذه الذاكرة العجيبة التى دربها فلا تكاد تخذله ، لطول معايشته لأمهات المصادر ونوادرها من مطبوع ومخطوط ولا هذه الأشارات التى دأب على تقييدها فى هوامش الكتب فى خزانته العامرة بكل نفيس ، يربط الكتب بعضها ببعض حتى أنه ليفتح كتاباً فى قضية بعينها فنرى فى الهامش مواضع ردود هذه القضية فى الكتب الأخرى ، فأصبح بذلك كل كتاب من كتبه دليلا يقودنا إلى الكتب الأخرى ومرشدا يدل على غيره ، ثم تلك الفهارس التى عنى نفسه بصنعها الكثير من المصادر ذات الطبعات القديمة غير المفهرسة ، أو ينسخها بيده إذا لم يتيسر له اقتناؤها دونما كلل ولا فتور حتى أصبحت تيسر له المراجعة وتفتح أمامه مغاليق تلك المصادر ومستورها .

وأتذكر بالنسبة لهذه الذاكرة القوية أننى أيام تأليفى لكتابى «الانسان والطائر» ذكرت أمامه رأى المستشرق «جولد زيهر» .. أن اسم جمعية «إخوان الصفا» مستلهم من قصة الحمامة والطوق «فى كتاب كليلة ودمنة «للمقفع» حيث استخدم تعبير «إخوان الصفا» فى وصف

جماعة الكائنات المتآلفة من أجل هدف واحد . والتى يقوم نظامها الداخلى على إعلاء قيمة الغَيرية .

وما إن سمع الأستاذ محمود شاكر ذلك منى .. حتى انتفض ساخطا هذه الهرطقة : إن تعبير «اخوان الصفا» قد ورد كثيرا فى الشعر الجاهلى .. فأوس بن حجر مثلا أنشد قائلا :

لعمركَ ما أنسى طفيل بن مالك　　بنى عامر إذ ثابت الخيل تدعى

وودع إخوان الصفاء بِقُرزل　　يمر كمـــريخ الوليد المفـــزع

و قال عمر بن شأس الأسدى وهو جاهلى أيضا

تذكرت إخوان الصفاء تيمموا　　.. فوارس سعد واستبد بهم جهلا

أما دعوة الحمامة المطوقة لصويحباتها بالتلاحم .. فيقول الشعر الجاهلى على لسان جران العود وهو شاعر من بنى نمير :

وذكرنى الصبا بعد التناهى　　حمامة أيكه تدعو الحماما

أسيلا خـــده والجيد منه　　تقلد زينـــة خلقت لزامـا

وظل الأستاذ محمود شاكر يأتى بالبيت الجاهلى تلو الآخر حتى أثبت بالفعل أن ابن المقفع هو الذى استلهم الاسم من الشعر الجاهلى وليس العكس كما يتصور بعض المستشرقين المتعجلين .

وستأتى المناسبة التى تعرفك لمَ يسخط الأستاذ محمود شاكر عندما يسمع قولا لمستشرق ولكن بعد أن أصف لك حالته الروحية وهو

يسمق ليطول منهجه التذوقي .. فقد وصف لي أخوه محمد الذي يكبره وبعفوية تامة .. أن أخاه محمود شاكر .. كان ينكب أياما وليالي على قراءة هذه الكتب - ويشير بيده نحو مكتبة أخيه «أكثر من عشر آلاف كتاب» - كان ينغمر في القراءة لدرجة أنه لم يكن يسمع جلبة قدوم الأهل والأصدقاء إلى منزله ، ثم أردف ، بل إننا كنا نبيت بالأسبوع وهو لا يدري بوجودنا ، وكان حتى لا يرانا ونحن نأكل معه .. لأن خاطره يكون شاردا عنا بما كان يقرأه قبل أن ندعوه مرارا وتكرارا ليقدم فيأكل .. ثم يتعجب من كان يراه في هذه الأيام يحسب أنه أخانا الأكبر - مع أن العكس هو الصحيح - وذلك لأنه كان لا يتحسس شعر رأسه أو ذقنه ، ليعرف ؟ أنهما قد استرسلا وراء ظهره وإلى صدره .

والحق أن شاكرا هكذا إلى الآن إذا انغمر في القراءة أو الكتابة ، فنحن في هذه الأثناء نسير على أطراف أصابعنا .. ونتناول الحديث همسا .. فما يكون من أم فهر ، وفهر ، وزلفى إلا أن يطلبوا منا مبتسمين أن نتصرف على حريتنا في السير أو الكلام . لأن الأستاذ محمود شاكر لن يحس بوجودنا حتى لو هللنا كما جمهور كرة القدم .

ومع ما أطلق عليه ثورة التصحيح سنة ١٩٧١ لم يكتب محمود شاكر شيئا وعندما طرد السادات الخبراء السوفيت ١٩٧٢ ثم حدثت مظاهرات الطلبة الثانية ، وانفصال بنجلاديش عن باكستان ، ثم الحرب بين باكستان والهند ، تشكلت وزارة مصرية برئاسة عزيز صدقي ..

سمح لمحمود شاكر فى ظلها بإصدار كتابه «أباطيل وأسمار» الذى أعتقل بسبب نشر جزء منه فى عهد جمال عبد الناصر .. بعد أن ضم إليه المقالات التى صودرت باغلاق الرسالة .. ثم أصدر الطبعة الثانية من ديوانه «القوس العذراء» كما كتب مقدمه لكتاب «دراسات لأسلوب القرآن الكريم» الذى ألفه الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ثم صمت بعدها عام ١٩٧٣ م ليس هو وحده .. بل كل المصريين معه .. وذلك لمتابعة حرب التحرير ، حرب السادس من أكتوبر .. وكان محمود شاكر يلهج اعجابا على تآخى الرئيس السادات والملك فيصل ويعتبرهما البطلين الحقيقيين لمعركة الكرامة .

وعبر عن إكباره لهذه المعركة ، وكيف أعادت لنا ثقتنا بأنفسنا كعرب ومسلمين ؟ فقال «١» إن هذا العالم قد مضى عليه أكثر من قرن كامل وهو يموج بالحركة ويغلى بالفكر ، حتى تجمعت فى هذه السنوات الأخيرة دلائل كثيرة على أن هذا العالم لن يبدأ حتى يحتل مكانته التى يستحقها بثرائه العظيم ، وبمساحته المترامية الأطراف ، وبسكانه الذين يزيد عددهم على ثمانمائة مليون من البشر ، وبما أودع الله فى أرضه من الذخائر والكنوز ، ما استغل منها وما لم يستغل - ولا يستطيع أحد أن يغمض عينه عن عالمنا هذا مرة أخرى ، بعد المعركة التى هزت قواعد العالم الآخر ، العالم المتفوق الذى كان يستغل غفلتنا

(١) محاضرة لمحمود شاكر ألقاها بعد عام واحد من حرب اكتوبر ، وذلك بجامعة الأمام محمد بن سعود الأسلامية في الرياض ونشرت بمجلة المجلة .

منذ أكثر من قرنين، استغلالاً لا شرف فيه ولا أمانة ولا رحمة ولا إنسانية ، ومع ذلك فواجبنا نحن اليوم أن نعلم علم اليقين أن هذه القوة التى فاجأت العالم وهزته هزا عنيفا، لم يكن مصدرها تفوقنا نحن بحضارتنا الموروثة، على هذا النوع الغريب من الحضارة، الممثلة فى القوى الحربية والصناعية والعلمية التى يمتلك زمامها العالم الذى نسميه عالم المستعمرين ، بل كل الذى حدث هو أننا استطعنا أن نستفيد فائدة جليلة من حركة الصراع بين القوى الكبرى فى عالم الاستعمار ، فاشترينا بأموالها السلاح المتفوق من إحدى القوتين العظمتين فى العالم ، لنواجه به سلاحاً متفوقا أيضا يستمده عدوانه من القوى الأخرى (١) ثم بلغنا درجة كاملة من حسن الاستعداد للمعركة ومن دقة التوقيت لساعة اللقاء هذه واحدة . أما الأخرى فهى أننا استطعنا أيضا بالجرأة والاتحاد أن نحبس عن عالم الاستعمار أهم مصدر من مصادر قوته وتفوقه، أو على الأصح ، أهم مصدر من المصادر التى يعتمد عليها تفوقه الحربى والصناعى ، وهو النفط (٢) ومنذ عهد غير بعيد حيث لم يكن فى قدرتنا أن نفعل هذا الذى فعلناه، ولا أغالى إذا قلت إنه كان يعد ضربا من الأحلام التى لا مكان لها فى

---

(١) الآن سنة ١٩٩٧ نشغل برفض إسرائيل وعدم توقيعها على معاهدة نزع السلاح النووي .

(٢) كتب أ. محمد حسنين هيكل عن هذه اللفتة التي تناولها محمود شاكر حول سلاح البترول في مقاله بعنوان «هل في مصر مستقبل؟ وتكلم فيها عن العوامل الثلاثة التى قلبت حياتنا العربية رأسا على

عالم الحقيقة، ورب قائل يقول، وهو صادق فيما يقول : إننا لم نصل إلى شراء السلاح المتفوق ولم نبلغ القدرة على حبس النفط، إلا بجهود متواصلة طويلة الأجل ، فلابد أن ينتبه هذا العالم إلى خصائصه وخصائص عدونا .

وفى سنة ١٩٧٤ كانت نفس محمود شاكر مازالت متعلقة بالمعركة وما أسفر عنها من مباحثات فك الاشتباك مع إسرائيل.. فأعاد إخراج

عقب وأولها ، زلزال قيام دولة إسرائيل ، وثانيا زلزال الثورات والانقلابات التى هزت شعوب المنطقة وأحدثت فيها حالة من الفوران طوال الخمسينات والستينات من القرن العشرين .. ثم جاء الزلزال الثالث فى السبعينات وهو زلزال ثورات البترول وفوائضها ، وكانت هذه ثورة عربية فى نوعها وفى ظروفها ، فهى ثورة لم تنشأ نتيجة عمل وتراكم ، أى أنها ثورة لا تتبع من تاريخ حضارى أو تكثيف جهود مشرفة .

– وإنما جاءت مرة واحدة كما يحدث الأنفجار – أى أنها بعكس المقولة الأولى التى فسرت بها كلامى «جاءت نتيجة جغرافية – ثم إن حجمها كان خرافيا لم يتح من قبل لأكبر أمبراطوريات التاريخ ، وكانت مفاتيحها جميعا من البئر إلى السوق إلى أيدى الآخرين . وأما المالك الأصلى فقد كانت فى يده السيولة النقدية يستعملها كما يهوى .

– وهى تجربة مختلفة عن ثورات الأمم من قبل ، فقد كان الغنى فى المدن وفي يد الطبقة المتوسطة القائمة على استثمار الزراعة والصناعة ، وأما فى هذه الحالة المستجدة فقد كان الغنى فى الصحارى وفى يد القبائل ، ولعبت المصادفات الجغرافية دورا لا يقل غرابة ، فقد كانت وفرة الثروات حيث ندرة البشر .. و .. وعصر البترول وفوائض معناه أن الغنى والفقر بين الشعوب العربية عبث جغرافى لا علاقة له بالتاريخ .

كتابة «طبقات فحول الشعراء» الذى كان قد حققه وشرحه ١٩٥٢ ميلادية ورأى فى عام ١٩٧٤ ميلادية رأيا جديدا فعلى غلاف الطبعة الجديدة وجدنا محمود شاكر وقد أقلع عن كلمة تحقيق وكتب بدلا منها «قرأه وشرحه محمود شاكر». فى هذا العام لبى دعوة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.. وهناك ألقى أهم محاضراته .. كان قد ألقى قبل ذلك سلسلة من المحاضرات عن الشعر الجاهلى ستصدر فى كتاب بعنوان «قضية الشعر الجاهلى فى كتاب بن سلام الجمحى» - وكانت بعنوان «فى الطريق إلى حضارتنا» وهى بالطبع غير مقدمة الطبعة الثانية لكتابه عن المتنبى التى طبعتها دار الهلال ثلاث مرات فى كتاب منفصل.

وقد استهل هذه المحاضرة كما هى عادته فى جميع أعماله بحمد الله كثيرا ثم الصلاة والسلام على رسوله الكريم.. ثم قدم نبذة عن حياته الخصبة وعزلته وما فعلته به وباسمه ثم قال : «فلم يخطر ببالى قط أن يدعونى أحد لأنى منذ هجرت الكتابة فى المجلات والصحف، أكثر من عشرين عاما كنت قد وضعت اسمى فى صندوق مغلق، لا يعرف ما فيه إلا عدد قليل من قدماء القراء. أما الأجيال الحديثة، فهى تمر عليه بلا مبالاة، ثم لا تجد ما يحفزها على الكشف عما يحتويه هذا الصندوق المغلق، والكاتب إذا وضع قلمه صدىء القلم، وإذا حجب عن القراء ، نسى اسمه وانطمس رسمه، ودخل فى حيز الموتى، وإن كان يعد فى الأحياء ، فلما جاءتنى هذه الدعوة الكريمة ، تصدعت أسوار

العزلة التى اخترتها ورضيتها لنفسى واستردت لنفسى صورة أبدو فيها حياة بعد طول الرقاد، وحب الحياة شهوة خفية فى كل قلب، فإذا كان اللسان معبرا عن ظاهر الشكر لهذه الدعوة إلى الحياة فإن للباطن شكراً لا يكاد ينتهى».

أما المحاضرة نفسها «فى الطريق إلى حضارتنا» فهى محاضرة قيمة تناولت قضايا الاقتصاد والتسليح وما يدور فى العالم الإسلامى أو العالم الثالث من صراعات وما يحاك حوله من مؤامرات الدول الاستعمارية استيطانية وثقافية - لإدخال عناصر الفساد إلى عالمنا، ثم إن شراء السلاح، وحبس البترول وإن كان قد ساندنا مرة فإنه لن يسندنا على طول الحياة. ومن ثم فلابد أن يكون هدفنا هو صنع السلاح وتوجيه النفط توجيها إيجابياً.

وفى سنة ١٩٧٥ التى شهدت اتفاقية فصل القوات بين المصريين والإسرائيليين ثم الخلاف مع ليبيا .. لم يكتب محمود شاكر إلا مقالتين لمجلة الكاتب بناء على رغبة الشاعر صلاح عبد الصبور الذى عرفته عليه. الأولى بعنوان «وكانت الجامعة هى طه حسين»، والثانية بعنوان «مواقف» وكانت موجهة إلى الدكتور زكى نجيب محمود، بعدها أجرى عملية خطيرة فى عينه كتب له الشفاء منها ومع الأشتباك المصرى الليبى فى يوليو وأغسطس سنة ١٩٧٦ لم يكتب محمود شاكر فى ظلها إلا مقالا لجريدة الأهرام تحت عنوان «مع الشيطان الأخرس» أما مع زيارة السادات للقدس سنة ١٩٧٧ فقد صدرت الطبعة الثانية المزيدة لكتاب

المتنبى حيث أضاف إلى العدد الممتاز من المقتطف، قصة هذا الكتاب، ولمحة من فساد حياتنا الأدبية، ثم قضية المتنبى وهى مراجعة للدكتور طه الذى أصدر كتابه مع المتنبى بعد سنة واحدة من ظهور كتاب محمود شاكر المتنبى وهو فى أثنى عشرة مقالة نشرت فى صحيفة البلاغ بداية من فبراير ١٩٣٧، مع خمس مقالات بين محمود شاكر والأستاذ سعيد الأفغانى حول نبوة المتنبى.

وعلى إنه ما إن بدأ عام ١٩٧٨ .. إلا ووجد الدكتور عبد العزيز الدسوقى ينشر فى مجلة الثقافة عدد يناير مقالا عن «المتنبى بين محمود شاكر وطه حسين» يردفها فى شهر مارس بأخر عن «قضية التذوق الفنى بين شاكر وطه حسين» فما كان منه إلا وكتب ردا عليه فى ثلاث مقالات تحت عنوان «المتنبى ليتنى ما عرفته» سبتمبر، أكتوبر ، ديسمبر، رغم أنها كانت وقت معاهدة كامب دافيد سنة ١٩٧٣. وبعدها أوقف محمود شاكر قلمه للتأمل فلم يكتب سطرا واحدا، وفى سنة ١٩٨٠ أصدر كتابه «برنامج طبقات فحول الشعراء» وهو يتضمن الرد على نقد الدكتور على جواد الطاهر لكتابه «طبقات فحول الشعراء».

وشهد عام ١٩٨١ اعتقالات سبتمبر المشهورة والتى شملت اعتقال العشرات والمئات من المعارضين للسادات على اختلاف مذاهبهم وبعدها.. اغتيل السادات وسط قواد الجيش فى مناسبة احتفالات أكتوبر.. وتولى حسنى مبارك الحكم، وفى عهده حصل شاكر على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٨٢،التى حقق فيها كتاب «تهذيب الآثار وتفصيل

الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار» لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى حيث كتب على غلافه أيضا «قرأه وخرج أحاديثه» وضم السفر الأول منه «مسند على بن أبى طالب» ومسند عبد الله بن عباس» عن منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض . كما كتب «للإهرام» عن : «المستشرقون وقضية الشعر»، وللهلال «الفقيه الجليل ورموز التكنولوجيا» ولمجلة العربى «فساد حياتنا الأدبية بين السخف والخطأ والتضليل» بعدها سنة ١٩٨٣ لم يكتب أيضا .. ثم حصل على جائزة الملك فيصل العالمية عام ١٩٨٤م ولها قصة طريفة ومحزنة فى آن واحد لهذا الرجل العظيم.

فى حضرة الملك فهد

فعندما أبلغ محمود شاكر بحصوله على الجائزة عن كتابه المتنبى قر فى ذهنه طبعا - أنها النسخة المزيدة لأنها التى أُطْلِقَ عليها كتاب - ولكنه بعد أن سافر إلى السعودية وقرأ براءة الجائزة التى شرفت به لإسهاماته القيمة فى مجال الدراسات التى تناولت الأدب العربى القديم ممثلة فى تأليفه كتابه المتنبى ١٩٣٦م.

عندئذ اسقط فى يد محمود شاكر .. فالعدد الممتاز من المقتطف عن «المتنبى» سنة ١٩٣٦ ليس كتابا .. ثم إن البراءة على هذا الشكل ألغت كل الزيادات، وهى شهادته على العصر ممثلة فى قصة الكتاب، ولمحة من فساد حياتنا الأدبية والمقالات الأثنتى عشرة والمعنونة بـ «بينى وبين طه حسين» .. فكيف يقبل جائزة تغفل لب حياته ؟ ماذا يفعل ؟ .

خيل لى وأنا أعرف محمود شاكر إذا مسه الضر.. فإنه لا يحجم ولا يدارى ولا شك أن رفض الجائزة جاش فى خياله .. ثم عاد وتحيروذلك أن رفض جائزة الملوك شىء مهول نظر فى تلامذته - أساتذة الجامعة المعنيون فى السعودية - حتى خيل له قولهم : لن نرفع رءوسنا بعد رفضك الجائزة - لقد خذلتنا ، هذا أنت وهذه إحدى غضباتك .

ولابد أن محمود شاكر نام على الجمر - الذى سار عليه فى غضبته على الدكتور طه حسين وأتخيل أنه ختم صلاة الفجر فبرقت فى ذهنه وشرقت فكرة ترضى السلطات ولا تغضب تلامذته، وتلفت نظر أهل الجائزة إلى أن بعض المشرفين على الجائزة من تلامذة طه حسين.. قفزوا على الزيادات كلها، بحجة أن جائزة فيصل كجائزة نوبل للسلام، يجب أن تخلو من المعارك.. وفساد الحياة الثقافية، مع أن فيصل كان بطلا لحرب أكتوبر، عندما أوقف ضخ البترول وتصديره للغرب، فكان النصر الذى أدى إلى السلم بعكس نوبل التى كانت جائزته للسلام تكفيرا عن ندمه لصنعه البارود الذى أشعل الحرب.

لقد ألهم بصيغة ، تعيى أو تعجز - من يجيئوا بعده بشبيه لها .. فبعد التحية لله تعالى .. ووصف حالة عجزه وسط جمع المحتفلين . صارحهم : «ولم يبق عندى شىء يمكن أن أقوله لكم، سوى أنى أجد حابسا يحبسنى عن مفارقة هذا المقام الكريم بينكم .. وحابس فى مكانى قصة محيرة لا أملك إلا أن أقصها عليكم .. وذلك أنى تلقيت من الأمانة العامة للجائزة تهنئة بحيازتى إياها هذا العام ، عن كتابى

«المتنبى» والذى نشرته عام ١٩٧٦ ، ولا كتاب لى عن المتنبى سواه، فلما كان بعد حين، وقرأت نص قرار الأمانة العامة، أذهلنى العجب ، فقد تبين لى كل التبين أن الجائزة ممنوحة لكاتب آخر غيرى، وكان من تصاريف الأقدار أن اسمه يواطىء اسمى، واسم كتابه الصادر عام ١٩٣٦ .. يواطىء «اسم كتابى الصادر عام ١٩٧٦».

عند هذه الجملة رج الحاضرون وعلى رأسهم الملك فهد. لهذا الخطأ أو تلك المعادلة المقلوبة فإذا بمحمود شاكر يتمادى مبينا عدم احتفائه بقرار اللجنة المشرفة على الجائزة .. يكمل لغزه .. عن غياب صاحب كتاب المتنبى ١٩٣٦ واحتمال ظهوره بعد تسلمه هو الجائزة وسط حفل مهيب.. فقال : « ولكن أخوف ما أخافه ، أن يئوب الكاتب القديم من غيبته، ويخرج على الأمانة العامة من سردابه متأبطا كتابه ، يطالبها بحقه فى الجائزة، وهذا أمر مخوف على كل حال، ولكن ليست هذه قضيتى ، إنما قضية الأمانة العامة تقضى بها بما تشاء . أما أنا فهيهات أن يطالبنى أحد بشىء بما كان من تهنئتى ودعوتى لتسلم جائزة هذا العام علانية. وأكبر من ذلك فمعى قرار يلغى كل قرار، هو تقديمى كتابى المتنبى إلى جلالة الملك فهد بن عبد العزيز، فتقبله بأكبر الفضل علىَّ وعلى كتابى الذى لا كتاب لى عن المتنبى سواه، وهذا حسبى وحسب كتابى من شرف باذخ.

بعد ذلك قام الدكتور أحمد الضبيب .. وهو أحد أعضاء لجنة

الجائزة .. فقال أن لكل عبقرى مجازاته فى الكلام و .. و .. مما هدىء الحاضرين . وجعل الملك فهد يبتسم فى وداد وارتياح .

لكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد فقد نشرت فى الصحف السعودية حوارات حول كلمة شاكر .. حيث شجبها الدكتور أحمد كمال زكى فلم يجد داعيا لهذه الكلمة مادام محمود شاكر قبل الجائزة .. ورد عليه الدكتور على أحمد السالوسة .. بأنها كانت متوجبة لعالم جليل قفزت براءة الجائزة فوق لب حياته وعندما سألت - بعد ذلك - الدكتور عبد القادر القط - وهو من أعضاء لجنة الترشيح لهذه الجائزة - عن سبب القفز فوق «لمحة عن فساد حياتنا الأدبية»، «بينى وبين طه حسين» .. وهل هو المسئول عن ذلك ..؟

رد : «بأنه كان فى أعضاء اللجنة عضو عراقى من تلامذة طه حسين المتشددين وكان يفكر فى حجب الجائزة عن محمود شاكر ، فاقترحت حل وسط إعطاء محمود شاكر الجائزة عن الملحق الخاص بالمتنبى سنة ١٩٣٦».

ولكى لا تعشو عيوننا من التحديق فى الأضواء التى انبعثت حول حصول محمود شاكر على جائزة فيصل العالمية .. وما فجرته كلمته المتألقة من حوارات تجذب البصر قليلا إلى الأحدا ث السياسية.. فنجد أن الأنفراج الدولى قد حدث عام ١٩٨٥ ميلادية وبعده تمت معاهدة هليسنكى بين أمريكا وروسيا، تلتها عودة مصر للجامعة العربية العربية

فى ١٩٨٩ .. حيث توجه فى نهاية نفس العام محمود شاكر لأداء مناسك العمره .. شكرا لله على هذا التكريم الذى لحقه - فى نفس العام - حصوله على تكريم الدول له.. على وسام للفنون والعلوم من الطبقة الأولى عن أعماله التى خدمت القرآن الكريم والسنة الشريفة سلمها له الرئيس حسنى مبارك فى احتفال وزارة الأوقاف بالمولد النبوى .. حيث لم يصدر محمود شاكر طوال هذه الفترة غير «تهذيب الآثار» للطبرى ، و«دلائل الاعجاز».

شاكر باشا

هنا نستدرك الإشارة إلى مكون اجتماعى مهم فى شخصين محمود شاكر يتعلق بنفسه وانتمائه العائلى ، وأذكر، أنه فيما يخص تواريخ أسرة محمود شاكر من ميلاد أو وفاة، والتى يظن القارىء أن الأستاذ قد أمدنى ببعض المعلومات عنها.. وهو ما لم يحدث قط .. بل كل ما حدث هو أننى لاحظت أنه كلما تطرق الحديث بينه وبين أفراد عائلته حول تاريخ ميلاد فلان، من عائلته أو وفاته فإننى أجد الأستاذ محمود شاكر ينادى : فهر .. فهر أعطنى الجزء «كذا» من الفتوحات المكية ..، ثم يفض الغلاف ويقرأ شيئا ، ثم يغلقه .. ويعود للحديث مصوبا أو موافقا .. مما لفتنى إلى سر مكنون فى هذا الكتاب.

وعندما استفسرته عنه .. لم أجد إجابة من الأستاذ محمود شاكر - كعادته - وفى خلال إحدى سفرياته أطلعنى نجله الفاضل الدكتور فهر على أجزاء كتاب الفتوحات المكية فوجدت أن جده الشيخ محمد شاكر

قد اعتبر أن ميلاد أحد أبنائه فتحا مبينا عليه، فلجأ إلى كتابة ميلاد كل منهم على جزء من أجزاء الكتاب وقام الأستاذ محمود شاكر بعد أن استقل بمكتبته الخاصة ، بنقل كل ما كتبه والده على هذه الأجزاء فى نسخته الخاصة مضيفا إليها ما استجد بعد وفاة والده وذلك على النحو التالى :

«الفتوحات المكية .. مؤلف الكتاب هو الشيخ الأكبر ذو المجالس التى تبهر : محمد بن على بن محمد بن أحمد بن عبد الله الخاتمى ولد يوم الاثنين أو ليلة سابع عشر رمضان سنة ٥٦٠ هـ فى مرسية» وهى بضم الميم وسكون الراء وكسر السين .

● المولود الأول

اللهم لك الحمد والمنة

بعد فجر الجمعة التاسع عشر وغاية جمادى الآخر سنة ألف وثلاثمائة وتسعة من الهجرة النبوية وتاسع عشر يناير ١٨٩٢ م، ولد للعبد الفقير غلام فعلى بركة الله سميته بهذا الاسم «أحمد» شمس الأئمة أبو الأشبال وحمل اسمه تاريخ مولده وبالله التوفيق.

كاتبه محمد شاكر

نقلت هذا من خط والدى على نسخته

● توفى أخى الشيخ أحمد فى الساعة السادسة بعد فجر يوم السبت ٢٦ من ذى القعدة ١٣٧٧ هـ «سبع وسبعين وثلاثمائة بعد الألف

من الهجرة» ١٤ «من يونيه ١٩٥٨» ثمان وخمسين وتسعمائة بعد الألف، رحمه الله رحمة واسعة.

وكتبه أخوه

محمود محمد شاكر

● توفيت الوالدة رحمة الله عليها «أسماء هارون عبد الرازق» الساعة الواحدة والرابع بعد ظهر يوم الأحد الاثنين وعشرين خلت من شهر شعبان سنة ألف وثلاثمائة وأربع وأربعين» «٢٢ شعبان ١٣٤٤ الموافق ٧ مارس ١٩٢٦» بمنزلنا بشارع رحبة عابدين بالقاهرة.

وهكذا مع المولد الثاني والثالث و .. و .. و.. إلى المولد السابع.

محمد شاكر

نقلته أنا محمود من خط والدى على نسخته

وأذكر أنني عندما سألت عن سر مناداة أسرته له بالباشا ، وما إذا كان بسبب ميلاده بمنزل حافظ باشا أو لأنه كان أصغر أبناء الشيخ محمد شاكر ثم صار عميدها ، قالوا بل هو حاصل على الباشوية فعلا : فسألت كيف ؟ قالوا : لما كانت الصداقة قد توطدت بين الشيخ محمد شاكر وبين الخديو عباس حلمي الثاني وحدث أن زاره الخديوى مهنئا، وطلب رؤية المولود.. فأحضره، فسأل عن اسمه فقيل له «محمود سعد الدين شاكر» فحمله فى صدره وهو يقول : بل هو محمود باشا شاكر .

ولا تحسبن أن إيرادى طريقة الشيخ محمد شاكر فى تسجيل تاريخ ميلاد أولاده على أجزاء كتاب الفتوحات المكية ، أو ذكرى للقصة التى عرفتها عن حصوله على الباشوية .. ولا حتى ميلاده فى بيت حافظ باشا .. إننى ألمح إلى فكرة «إليوت» عن النخبة أو الصفوة الاجتماعية التى تحمل على كاهلها مهمة الإبداع الفنى والفكرى والعلمى وتقوم فى الوقت نفسه بالحفاظ على التقاليد الثقافية الراقية.

لا لأن محمود شاكر رجل شعبى لا يحب فى مجلسه إثارة النزاعات الطبقية.. ولا يفرق فى معاملته بين وزير وخفير .. فقد ذكرت لكم أنه قد يجلس إلى مائدة طعامه عم أنور الحلاق الذى يتعهد شعره.. بل إننى عرفت كيف استنكف هذا الوضع يوما .. أحد من ضيوفه وهم ، الشيخ حسن الباقورى ، والأستاذان محمد فؤاد جلال وزير الشئون الاجتماعية أوائل الثورة والأستاذ حسين ذو الفقار صبرى .. الأخ الأكبر لعلى صبرى .. اللذان تحادثا معا تليفونيا فى شجب هذا الوضع . فلما بلغ الأستاذ محمود شاكر قال : هذا بيتى وهذا هو سلوكى.

كما أن ذكرى لمناصب والده من أمين الفتوى إلى وكيل الأزهر.. وأن أكبر أخوته العلامة المحدث أحمد شاكر، وأوسط أخوته على شاكر وكان شاعرا وعضوا بارزا فى الحزب الوطنى أو أن أولاد خاله هما المحققان الكبيران إبراهيم وعبد السلام هارون وأن وأن .

كان ذكرى لهؤلاء ليس اثباتا لحسبه ونسبه بقدر ما رسمت عبر هذا

الرصد مفردات ثقافته التى ألهمته مذهبه التنوقى.. والجو الذى يتنفسه صباح مساء و ..

تلك كانت مجمل الأحداث التى عاصرها محمود شاكر فى حياته وكتاباته ، وإن كنت لم أذكر أحداث الأعوام الأخيرة منذ عام ١٩٨٩ فهى على كثرتها لم تزل راهنة عالقة بالأذهان، كحرب الخليج الأول «العراق وإيران» والثانية «العراق والكويت» ثم ظهور البروسترويكا ، تلاها حرب البوسنة ، ثم محاولة روسيا لاسترداد الشيشان وما إلى ذلك وخلالها انكب شاكر على القراءة ومتابعة الأحداث السياسية .

وأتساءل بعد ذلك هل جلوت جلونا صورة محمود شاكر للقارىء؟ هنا وتحضرنى فى هذا المقام من الحديث، تحذير «يونج» من التمادى والتوغل فى التنقيب عن حياة المبدع .. إذ يقول : إن كل مبدع فى الحقيقة شخصان تراه فى جانب إنسانا فردا فى حياته الشخصية وفى جانب آخر نجده مجهولا مجرد عملية خلق وابداع.

وأنا أخط مقولة «يونج» الآن - خطر لى أن أطبقها على ما كتبناه آنفا عن محمود شاكر ، فوجدنا أنه كان حتى سنة ١٩٣٥ ميلادية مجرد عملية خلق وإبداع وبحث وتنقيب عن منهجه حيث كان أول تطبيقه له على ديوان المتنبى ، ففى منعطف وعر من مراحل إبداعه لهذا الكتاب يقول محمود شاكر : مع جهد الصوم وقلق النوم وقلة الراحة ، وغوائل الحيرة - كان غراما وعذابا والعجب أن عزيمتى الكتابية كانت تزداد قوة وشراسة.

وهل ننسى أنه فى شبابه لم يقع فى حب جارية شقراء مثلا، فلم يحب سمراء بعدها ولو كانت على نور الشمس، كما ذكر ابن حزم ، مثلا - فى طوق الحمامة .. بل وقع منذ أن كان ابن ثلاثة عشر عاما إلى أن بلغ السابعة والعشرين .وهى ضحا شمس حياته فى حب الشعر الجاهلى، بل إن نشوته بحبه فارت فجعلت تثبط همته عن الشعر الأموى والعباسى اللذين كان يحبهما قبلا :

وربما فسر ذلك سر غضبته على أستاذه طه حسين، لأنه شكك فى عرض حبيبته، أو على حد قول الدكتور شكرى عياد، عندما رأى ذراعا غليظا تزيحها عن مائدة الدرس لتسقط فى تيه العدم، فسافر إلى السعودية وربما تجسم الشعر الجاهلى فى الفتاة التى خطبها .. ولكنها لم تكن كسفرته ليست خطبة من القلب.. حيث عاد إلى حبيبته الأولى الشعر الجاهلى يتملاه وكل الأوصاف التى وصف بها كيفية قراءته فى منهجه.

إننا بالطبع لا نعرف رأى علم النفس فى رجل أمضى ضحى حياته يغذى ذاكرته بينابيع علوم العربية من الجاهلية إلى الإسلام، ثم عصورها ودولها فسهل عليه بعد ذلك تنوق كتبها.. هل هو الرجل «الكمبيوتر» الذى لم تصافح عينه الدنيا إلا بعد أن ظهر المتنبى سنة ١٩٣٦ الذى أهداه السعادة جميعا.. وبدأنا نقرأ فى كتبه وكتب غيره عن تردده على ردهات المجلات والصحف .. ويرتاد السينما والمقاهى وقصائده الغزلية .. وآراءه فى المرأة وغيرها.

زد على ذلك أن الميزة المهمة فى منهجه التذوقى - الذى سنوضحه بعد ذلك - هذه الدقة جعلته .. ينجح فى إجادة أى عمل يخص العربية، فقد لاحظنا مثلا .. أنه لجأ إلى التحقيق للخروج فقط من أزمته المادية .. ومع ذلك جاءت تحقيقاته ذات منهج علمى مستقل ، معروف عنه ، ويحظى بالتقدير فى أوساط العلماء .. زد على ذلك أن تصفح كل أعماله بين التحقيق للإبداع حتى المقالات والقصائد .. تؤكد أنه رجل الرد فعل ولولا هذه الخصيصة لديه.. لصار يمتص ما فى الكتب ولا يسكبه فى كتاباته.

محمود شاكر والتراث

إن اهتمام محمود شاكر كان شديدا بالتراث .. لأنه يفيد المسلم فائدتين : الأولى .. معرفة تاريخ العلماء الذين مهدوا الطريق لنا ، وسلكوا دروبا مضنية ، واحتملوا عناء باهظا ، وأظهرونا على مداخل هذا التراث ، ومساربه ، حين قاموا على نشره وإذاعته .

وقد فطن محمود شاكر «١» من أول أمره إلى الأصول ، فكان اشتغاله بطبقات فحول الشعراء لابن سلام .. وكل تحقيقاته التى مرت علينا تقول لنا إن هذا الرجل نثرت أمامه العربية كلها ، فهو لم يشتغل بباب من العلم دون باب آخر ، فأنت تراه يقرأ ويفقه «المواقف» لعضد الدين الإيجى ، كما يقرأ ويفقه «كتاب سيبويه» و«تفسير الطبرى» و«أغانى أبى الفرج» ثم إن له من وراء ذلك كله ، من فقه أسرار اللغة ، مالم يقف عليه أحد ، قديما وحديثا ، أقول قولى هذا وأنا أعلم أن كثيرا من أصحاب المناهج والدراسة الموضوعية ، والنقد والبناء سوف يضرون إلى رءوسهم ويقولون «متعصب مبالغ» فأقول نعم ولكن بموضوعية .

أما الفائدة الثانية التى نفيدها من تاريخ نشر التراث فهى معرفة

---

(١) كلمة التراث : لفظة لا يحبها شاكر ويفضل عليها لفظ الإرث ..

فرق ما بين الطبعات ، فإن كثيرا من كتب التراث قد طبع أكثر من طبعة، وتتفاوت هذه الطبعات كمالا ونقصا ، صحة وسقما ، وعلى سبيل المثال فإن كتاب «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام قد طبع عدة طبعات لا خير فيها ، وتعد أكملها جميعا طبعة شيخ العربية محمود شاكر .. لا سيما الطبعة التى رضى عنها .. متبرئا من الأولى التى لم يرض عنها .. وقد أقلع فى هذا الكتاب عن وصف نفسه بالمحقق ، تلك التى اخترعها أغانم المستشرقين وكتب بدلا منها «قرأه» .

«لقد تم لمحمود شاكر كل ذلك لأنه عالم فحل على دراية واقتدار بعمليتى التصحيف والتحريف وقد قال تعالى : «من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه» ، وهاتان العمليتان من أخطر مشكلات التحقيق أو القراءة ، ويعظم الخطب حين يبنى على اللفظ المصحف أو المحرف «أى موضع النقط» رأى فى العقيدة أو الأدب أو اللغة (١) فلفظة «الصليان» فى كتاب لويس عوض عن أبى العلاء .. وهو نبت معروف ، حرفه فتحول إلى «الصلبان» وبنى عليه مفهوما مخالفا : وهو تأثر أبى العلاء بالمسيحية ، فكان التاريخ مزيفا لثقافة أبى العلاء ، ولم يحظ من ذلك بطائل حتى قيض الله له من سامه سوء العذاب ، وهو علامتنا محمود شاكر» .

---

(١) الدكتور محمود الطناحي في كتابه المشار إليه سابقا «مدخل إلي تاريخ التراث» .

وهذه الأعمال التراثية جعلت محمود شاكر يحوز وحده على لقب شيخ العربية وشيخ العروبة الذى يجب أن يسمع صوته ويعمل بآرائه فى الدين ، والفقه ، والتاريخ ، وكل علوم العربية ، وإذا قال قائل إنه محض إنسان متدين فاتش التراث ، ونحن فى عالم غلبت عليه السياسة فنحن نقول : إذا كانت اسرائيل ليس لها دستور إلا الدين والعقيدة التى تسيطر على جميع خططها وأهدافها وأساليبها ، حتى أنه لا يمكن أن يمر قانون دون موافقته للعقيدة «التوراتية» فإننا فى اتجاه حربهم أو سلامهم لابد أن نعطى لديننا بعدا يناهض بعده عندهم ، وإذا كان أحد لا ينكر طبيعة الدين ورسالته العامة الخالدة . فإن واجب المسلمين فى كل عصر ومصر أن يحولوا المبادىء العامة إلى صيغ أكثر تحديدا ، تعالج المشكلات القائمة معالجة خاصة ، حتى لا تضيع فى تيه التعميمات السطحية التى لا تحدد الداء أو تقدم الدواء .. فليس ثم اختلاف فى أن هذا هو الأصل العام بالنسبة لدعاة أى دين .. والذى يجب أن يدركه مفكر اللحظة الزمانية ومكانها ، كما فعلت كل الدول التواقة إلى الرشد والنصر معا .